IUGJEPS
Vol 29, No 1, 2021, pp 263 -286

ISSN 2410-5201

مجلة الجامعة للدراسات الإسلامية (عقيدة – تفسير – حديث)

تاريخ الإرسال (2020-02-26)، تاريخ قبول النشر (2020-04-01)

الماء في القرآن الكريم دراسة موضوعية

اسم الباحث: أ. محمد يحيى طاهر

اسم الجامعة والبلد: جامعة قطر-قسم التفسير

* البريد الالكتروني للباحث المرسل:

E-mail address: mohdyt88@hotmail.com

https://doi.org/10.33976/IUGJIS.29.1/2021/12

الملخص:

يعنى هذا البحث بدراسة موضوعية حول الماء في القرآن الكريم؛ وذلك لأهمية الماء، فقد برزت عنايته في القرآن الكريم بشكل واضح، فهو مبثوث بكثرة في ثنايا الكتاب العزيز، بنسبة تصل إلى 65% من مجموع سور القرآن، بالإضافة إلى أنه ورد في قصص خمسة عشر نبياً من الأنبياء عليهم السلام من أصل خمسة وعشرين مذكورين في القرآن، فهذا يعطي دلالة على أن الماء له منزلة عند المتكلم بالقرآن سبحانه.

وبالنظر إلى المعاني التي يدور حولها الماء في القرآن فنجد أنها أربعة: المطر، النطفة، القرآن، السائل المعروف الذي لا لون له ولا طعم ولا رائحة.

ويلاحظ أن أوصاف الماء وأغراضه قد تشعبت في القرآن، فلم يكتف القرآن بعرض الماء بحالته السائلة فقط، بل تجاوز ذلك إلى ذكر حالات الماء الصلبة كالبَرَد، والغازية كالسحاب، ولم يقتصر القرآن على ذكر الماء وأوصافه في الأرض، بل امتد ذلك ليشمل السماء والهواء، كذكر الغمام والودق.

والماء نعمة امتن بها الرب سبحانه على جميع الخلائق، بمن فيهم الإنسان، فابتدأ خلقه من طين، وهو مزيج من التراب والماء، ثم صارت السلالة البشرية كلها تنحدر من الماء الدافق، ثم هو في حياته لا يستطيع الاستغناء عن الماء، وسيظل مصاحباً للإنسان في دار الخلود مصاحبة تليق بعمله وإيمانه جزاءً وفاقاً.

هذا، وقد وردت سياقات كثيرة للماء في القرآن، كسياق إثبات الربوبية، وسياق الامتنان والتسخير والتذكير بنعمة الماء، وسياق إثبات القدرة على البعث والنشور، وسياق ذكر بعض الأحكام الشرعية المتعلقة بالماء كالوضوء، وسياق الإخبار التاريخي، وسياق ضرب الأمثال.

كلمات مفتاحية: الماء، أوصاف، حالات، آخرة، قصص.

Title in English (Thematic Study of Water in the Holy Quran)

Abstract:

This paper is a thematic study of water in the Holy Quran for its significant importance. The study shows that water is mentioned in 65% of the total number of surahs in the Quran.

Furthermore, the word "water" appears in fifteen stories of the prophets, out of the twenty five stories mentioned in the Quran and this shows the importance of water in the words of the Creator.

The Quran mentions four different meanings of water: rain, sperm, the Quran, and the colorless, tasteless and odorless liquid important for life.

It is also worth noting that the Quran has a rich description of the various purposes of water; it does not only mention water in its liquid state, but also in its solid and gas states such as hail and clouds. This paper explains that the mention of water in the Quran is not limited only to earth, but rather it is extended to the skies and air, which include the clouds and rain.

Water is a blessing that Allah has bestowed upon His creations including mankind, who is created from clay; a mixture of dust and water. Thus, the whole of the human race is descended from flowing waters (sperm), and man remains dependent on water during his life on earth and afterlife in heavens in accordance with his good faith and deeds.

This study also analyzes the mention of water in contexts such as proof of lordship, gratitude, harnessing of creation, reminder of the blessing of water, resurrection, legal provisions (ablution), historical reporting, and setting examples.

Keywords: Water, Descriptions, status, heaven, stories.

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين جعل من الماء كل شيء حي فكان دليلاً عليه، والصلاة والسلام على من نبع الماء من بين يديه –نبينا محمد– كما وحد الله، وعرّفه، ودعا إليه، وبعد:

فلا زال المسلمون يغوصون في بحر الكتاب العزيز؛ لاستخراج كنوزه التي لا تنضب، والتي لا تنفد إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، ولا غرو؛ فهو كلام الله الذي لا تنقضي عجائبه، ولا يخلق على كثرة الرد، هو المعجزة الخالدة التي أوتيها النبي صلى الله عليه وسلم، فكانت معجزته هي وحيه، فانفرد بهذا عن سائر الأنبياء والمرسلين.

ومما عني به المسلمون هو التفسير الموضوعي للقرآن الكريم بشتى موضوعاته، وها أنا ذا أقدم على بحث من هذا النوع، وهو بحث مختصر عن الماء ومواضع ذكره في كتاب الله العزيز، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد، فما من شيء تدب فيه الحياة إلا ويكون الماء سبباً في ذلك ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ الآية، [الأنبياء: 30]، وأفضل المكرمين من الأحياء هم بنو آدم، وقد نص الله على خلقهم من ماء فقال: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا ۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴾ [الفرقان: 4].

هذا وقد حاولت أن أضع في البحث تقسيماً عاماً تندرج تحته أغلب مواضع ذكر الماء في القرآن، مراعياً في ذلك محاور القرآن الكريم، وستجد ذلك مفصلاً في هيكل البحث بحول الله تعالى.

1- فكرة البحث:

تدور فكرة البحث الرئيسة على التعرف على أنواع المياه التي ذكرت في كتاب الله العزيز، سواء أكان من الأرض أم من السماء والهواء، بالإضافة إلى التعرف على أبرز أوصاف الماء المذكورة في القرآن.

كما تكمن الفكرة أيضاً في إبراز دور الماء في الدنيا متمثلة بنعمة الله على خلقه بالماء، وبمصاحبته للإنسان، وبوروده في قصص الأنبياء، بالإضافة إلى دوره في الآخرة أيضاً من نعيم وعذاب.

2- إشكالية البحث وأسئلته:

أبرز إشكالية يواجهها هذا البحث أن الدراسات والجهود السابقة في موضوع "الماء في القرآن الكريم" شحيحة، مما جعل أمر البحث فيه صعباً، فلا تكاد تجد مصادر أو بحوثاً قوية في هذا الصدد، وسيُبيّن في حينه إن شاء الله.

وهذا أمر يدعو إلى العجب، ويورد أسئلة جوهرية، وهي:

- لماذا غفل المسلمون عن هذا النوع من البحوث؟ بينما تجد الغرب يهتم جداً بالماء، ويدل على هذا أن سعيهم لإيجاد كوكب بديل عن الأرض يكمن في وجود ماء فيه.
- أليس الماء من آيات الله الدالة على قدرته، والتي يقول الله فيها: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلْءَافَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [فصلت: 53]؟ فعلام يترك هذا المجال من البحث؟
- أوليس الماء عصب الحياة وإكسيرها؟ مما يستدعي تكثيف البحث حوله، خاصة فيما يتعلق به من كتاب الله، إذ هو من عند علام الغيوب.

3- أهمية البحث:

أهمية هذا البحث وبواعث اختياره ترجع إلى عوامل وأسباب أوردها في ما يأتي من نقاط:

- أعظم مخلوقات الله سبحانه وتعالى على الماء، كما قال سبحانه: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾ الآية، [هود: 7]، فهذا ينبي عن أهمية الماء البالغة.
- الماء هو إكسير الحياة، وهو عصبها، وقد أخذ اهتمام العالم به.
- البحوث فيه قليلة، فهذا البحث يعتبر جديداً في مجاله، أعني البحث الموضوعي للماء في القرآن الكريم.

- تنوع أسماء، وأوصاف، وأغراض الماء في القرآن الكريم.
- ذكر الماء مبثوث بكثرة في القرآن، وهذا سيُبيّن بتفصيله في التمهيد.

4- أهداف البحث:

تكمن أهداف البحث حول ما يلي:

- جمع الآيات المتناثرة التي ذكرت الماء، ودراستها.
- إظهار عناية القرآن بالماء.
- بيان أوصاف الماء، وأغراضه التي ذكرت في القرآن.
- بيان استعمال القرآن الماء لضرب الأمثال.
- إبراز علاقة الأنبياء عليهم السلام مع الماء في قصصهم.
- إثراء المكتبة الإسلامية بدراسة موضوعية عن الماء.

5- حدود البحث:

حدود هذا البحث ستكون في إطار كتاب الله عز وجل، بعيداً عن الاستطرادات إلى غيره، إلا إذا دعت الحاجة إلى ذلك، فالماء مبثوث بكثرة في كتب السنة، والفقه، والبيئة، وغيرها، وهذا ليس مجال بحثنا، بل نقتصر على كتاب الله عز وجل.

ونظراً لطبيعة البحث القائمة على الإيجاز؛ فقد ارتأيت أن أكتفي بإيراد مثال واحد في استدلالات البحث، وقد أزيد أحياناً إذا اقتضت الحاجة، لأن مواطن ذكر الماء في القرآن تربو على المئات، وليس القصد استيعابها بل الإشارة إلى وجودها، ومن أراد التوسع فدونه كتاب الله ففيه الشفاء، والكفاية، وعلى الله الهداية، وبه أستعين، والحمد لله رب العالمين.

6- الدراسات السابقة:

جل الجهود التي بذلت من قبل قد عنيت بالماء من طابع بيئي، وسياسي، واقتصادي، وغير ذلك مما هو بعيد عن دراسته دراسة موضوعية من خلال القرآن العظيم.

هذا، وقد كانت الدراسات حول الماء في القرآن الكريم هي ثلاث دراسات وبحوث، وهي على هذا النحو:

- المياه والرياح في القرآن مع ما تحدث العلم الحديث بشأنهما، وهي رسالة دكتوراة للدكتور: عبد الرحمن هشبول الشهري، وقد قسمها إلى ثلاثة فصول: بدء الخلق، الماء، الرياح.
- الماء في القرآن الكريم (دراسة موضوعية)، وهي رسالة ماجستير لفتحي عبد العزيز العبادسة، وقد قسمها إلى ستة فصول: أهمية الماء والمحافظة عليه، مصادر الماء وأقسامه في القرآن الكريم، الماء بين النعيم والعقاب في الدنيا والآخرة، الإعجاز العلمي في آيات الماء، الماء في المثل القرآني، الصراع على الماء.
- الماء في القرآن الكريم، وهي رسالة ماجستير لغالب محمد رجا الزعارير، وقسمها إلى ستة فصول: الماء والكون، الأمثال التي ذكر فيها الماء في القرآن الكريم، الماء في القصص القرآني، البحار والأنهار في القرآن الكريم، السحاب والماء، الماء يوم القيامة.

ولعل هذا البحث يضيف جديداً إلى البحوث المذكورة سالفاً خاصة فيما يتعلق بأوصاف الماء، فقد حاولت استيعابها قدر المستطاع أكثر مما فعلوا، وفيما يتعلق أيضاً بذكر الماء في قصص الأنبياء، إذ لم يذكرها الباحثون من قبلي إلا بشيء يسير، وقد حاولت في بحثي أن أستوعب جميع الأنبياء الذين ورد ذكر الماء في قصصهم.

7- منهج البحث:

منهج البحث المتبع هنا هو المنهج الاستقرائي التحليلي ابتداءً، إذ سعيت جاهداً أن أقف على مواضع الماء المذكورة في القرآن الكريم، وهي تربو على المئات، ثم حاولت تحليلها وتجميعها بشكل مناسب.

بعد ذلك اتبعت المنهج الاستنباطي؛ لاستنتاج العلاقة بين الماء وبين المواطن التي ذكر فيها، وقد ساهم ذلك جلياً في اختيار العناوين المناسبة لكل فصل، ثم اختيار عنوان مبحث يتناسب مع عنوان الفصل، وبعد ذلك اختيار عنوان لمطلب يتناسب مع المبحث.

وأما منهجية الحاشية والهوامش، فالبحث يبدأ بترقيم جديد من كل صفحة، وتبدأ الحاشية بذكر اسم الشهرة للمؤلف، ثم اسمه إن احتيج لذلك ولم يكن ذا شهرة تغني عن ذكر اسمه، وبعد ذلك يذكر عنوان الكتاب متبعاً برقم الجزء والصفحة.

8- هيكل البحث:

وبعضهم يسميه (خطة البحث)، تتكون الهيكلة أو الخطة من ملخص البحث، ثم المقدمة وما تحويه من عناصر ثمانية، وهي: فكرة البحث، إشكالية البحث وأسئلته، أهمية البحث، أهداف البحث، حدود البحث، الدراسات السابقة، منهج البحث، وهيكل البحث، وبعد المقدمة يأتي التمهيد متبوعاً بثلاثة مباحث، وخاتمة وما تحويه من نتائج وتوصيات، ثم قائمة المصادر والمراجع.

أما خطة المباحث والمطالب فهي على هذا النحو:

- **المبحث الأول: أوجه ذكر الماء، وصوره، وأوصافه في القرآن، وفيه ثلاثة مطالب:**
  - المطلب الأول: أوجه تفسير كلمة ماء في القرآن، وفيه مسألتان:
    - المسألة الأولى: تعريف الماء لغة واصطلاحاً.
    - المسألة الثانية: تفسير كلمة ماء في القرآن.
  - المطلب الثاني: أسماء الماء، وصور ذكره في القرآن الكريم، وفيه مسألتان:
    - المسألة الأولى: صور الماء في الأرض.
    - المسألة الثانية: صور الماء في الهواء، والسماء.
  - المطلب الثالث: أوصاف الماء التي وصف بها في القرآن الكريم.
- **المبحث الثاني: الماء ومحاور القرآن، وفيه مطلبان:**
  - المطلب الأول: سياقات ذكر الماء في القرآن، وفيه مسألتان:
    - المسألة الأولى: الربوبية ونعمة والماء.
    - المسألة الثانية: الماء والإنسان.
  - المطلب الثاني: الماء في الآخرة، وفيه ثلاث مسائل:
    - المسألة الأولى: الماء في البعث والنشور.
    - المسألة الثانية: الماء في الجنة.
    - المسألة الثالثة: الماء في النار.
- **المبحث الثالث: الماء في أمثال القرآن، وفي قصص الأنبياء الواردة فيه، وفيه مطلبان:**
  - المطلب الأول: الماء في أمثال القرآن، وفيه مسألتان:
    - المسألة الأولى: تشبيه الوحي والهدى الذي جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم بالماء المنزل من السماء.
    - المسألة الثانية: تشبيه الدنيا بالماء.
  - المطلب الثاني: الماء في قصص الأنبياء الواردة في القرآن، وفيه مسألتان:
    - المسألة الأولى: الأنبياء سوى موسى وهارون عليهم السلام.
    - المسألة الثانية: موسى ومعه أخوه هارون عليهما السلام.

التمهيد:

اعلم أن ذكر الماء مبثوث بكثرة في كتاب الله، فلا تكاد تخلو من ذكره سورة من سوره، فإذا ما استثنينا المفصل وهو السُبع الأخير من القرآن – ومعظمه من قصار السور– فإن جميع سور القرآن قد ذكر فيها الماء باستثناء سور الفاتحة، والأحزاب، والصافات، والحجرات، وهذه نسبة لا تتجاوز 8% من مجموع السور التسعة والأربعين.

أما سور المفصل فقد ذكر الماء في ثلاثين سورة منها، من أصل خمس وستين سورة، معظمها من قصار السور، وهي نسبةٌ تقارب نصف سور المفصل، لتكون نسبة السور التي ذكر فيها الماء تساوي 65% من مجموع سور القرآن، وهي نسبة كبيرة كما ترى.

وقد ذكر الله الماء في بداية سورة البقرة ليكون بذلك من أوائل المخلوقات التي امتن الله على خلقه بإيجادها، قال سبحانه: ﴿ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ﴾ الآية، [البقرة: 22]، وبهذا يتبين ما للماء من مكانة ومنزلة في سلم المخلوقات ومدارج النعم، ولله الحمد أولاً وآخراً.

وأما آخر موضع ذكر فيه الماء لفظاً هو قوله تعالى: ﴿خُلِقَ مِن مَّآءٖ دَافِقٖ﴾ [الطارق: 6].

المبحث الأول: أوجه ذكر الماء وصوره وأوصافه في القرآن

المطلب الأول: أوجه تفسير كلمة ماء في القرآن:

المسألة الأولى: تعريف الماء لغة واصطلاحاً:

الماء لغة:

لم يذكر أحد من أصحاب اللغة تعريف الماء لغة، إذ غاية ما ذكروه أن الماء معروف، ثم ذكروا أن الهمز منقلب عن هاء، وأصل الكلمة "موه"، ويجمع على مياه، وأمواه، وقيل: إن الأول جمع كثرة، والثاني جمع قلة[1].

وتعريف الشيء المعروف يكون صعباً كما هو معلوم، ولذا قالوا في المثل المشهور المتداول على الألسنة عن الماء خاصة: (وفسر الماء بعد الجهد بالماء).

الماء اصطلاحاً:

قد عرفه معجم اللغة العربية المعاصرة تعريفاً يوافق التعريف العلمي الدارج في زماننا هذا، في كونه سائلاً شفافاً، لا لون له، ولا طعم، ولا رائحة، يتكون كيميائياً من ذرتي هيدروجين، وذرة أوكسجين، ويتجمد عند درجة الصفر مئوياً، ويغلي عند المائة المئوية[2].

المسألة الثانية: تفسير كلمة ماء في القرآن:

ذكر الدامغاني في كتابه الوجوه والنظائر أن معاني كلمة "الماء" جاءت على ثلاثة أوجه، وهي:

– المطر، كما في قوله تعالى: ﴿وَنَزَّلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ مُّبَٰرَكٗا فَأَنۢبَتۡنَا بِهِۦ جَنَّٰتٖ وَحَبَّ ٱلۡحَصِيدِ﴾ [ق: 9]، وهذا كثير في كتاب الله تعالى.

– النطفة، كما في قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٖ مِّن مَّآءٖۖ﴾ الآية، [النور: 45]، يعني نطفة.

– القرآن[3]، كما في قوله تعالى: ﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَسَالَتۡ أَوۡدِيَةُۢ بِقَدَرِهَا﴾ الآية، [الرعد: 15]، يعني: القرآن، وهو مثل ضربه الله، وسيأتي في مبحث (الماء في أمثال القرآن) إن شاء الله تعالى.

---

(1) للاستزادة ينظر: الجوهري، **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**، (ج2250/6)؛ الرازي، **مختار الصحاح**، (ج301/1)؛ ابن منظور، لسان العرب، (ج543/13)؛ الزبيدي، **تاج العروس من جواهر القاموس**، (ج508/36).

(2) ينظر: عمر، أحمد مختار عبد الحميد، **معجم اللغة العربية المعاصرة**، (ج2141/3)؛ كحيل، عبد الدائم، **دورة الماء بين العلم والإيمان**، (ج2/1).

(3) ينظر: الدامغاني، **الوجوه والنظائر**، (ج420/1).

ويلاحظ هنا أن الدامغاني اقتصر على هذه الثلاثة، ولم يذكر الوجه المعروف للماء، الذي يكون بحالته السائلة، وقد ينبع من جوف الأرض، وغيرها من الأماكن، دون الاختصاص بنزوله من السماء، كالمياه الجوفية، ومياه الأنهار، وقد ذكر الله ذلك في كتابه قائلاً: ﴿وَفِي ٱلۡأَرۡضِ قِطَعٞ مُّتَجَٰوِرَٰتٞ وَجَنَّٰتٞ مِّنۡ أَعۡنَٰبٖ وَزَرۡعٞ وَنَخِيلٞ صِنۡوَانٞ وَغَيۡرُ صِنۡوَانٖ يُسۡقَىٰ بِمَآءٖ وَٰحِدٖ﴾ الآية، [الرعد: 4]، قال ابن عاشور رحمه الله: "والسقي: إعطاء المشروب، والمراد بالماء هنا ماء المطر وماء الأنهار، وهو واحد بالنسبة للمسقى ببعضه"[(1)].

المطلب الثاني: أسماء الماء، وصور ذكره في القرآن الكريم:

تعددت أسماء الماء، وتنوعت صور ذكره في القرآن الكريم تنوعاً استوفى جميع حالات تشكل الماء في الطبيعة، وهي حالات كونه سائلاً، وصلباً، وغازاً، كما ذكرت ظروفه، وطبيعة حركته، وتخزينه ظاهراً وباطناً، إلى غير ذلك من الصور التي يمكن تقسيمها إلى مطلبين:

المسألة الأولى: أسماء الماء، وصور ذكره في الأرض:

- **البحر:** ذكر البحر في القرآن في واحد وأربعين موضعاً[(2)]، وقد ذكر مفرداً ثلاثاً وثلاثين مرة، كما في قوله تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمۡ صَيۡدُ ٱلۡبَحۡرِ وَطَعَامُهُۥ﴾ الآية، [المائدة: 6] وذكر بالتثنية خمس مرات، إحداها بالرفع، وهو قوله تعالى: ﴿وَمَا يَسۡتَوِي ٱلۡبَحۡرَانِ﴾ الآية، [فاطر: 12]، وأربع مرات ذكر بالياء نصباً وجراً، كما في قوله تعالى: ﴿مَرَجَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ يَلۡتَقِيَانِ﴾ [الرحمن: 19]، وذكر مجموعاً في عدة مواضع أيضاً تبلغ ثلاثة، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلۡبِحَارُ فُجِّرَتۡ﴾ [الانفطار: 3]، وقوله تعالى: ﴿وَٱلۡبَحۡرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦ سَبۡعَةُ أَبۡحُرٖ﴾ الآية، [لقمان: 27]، كما ذكر مقروناً بالبر في غير ما موضع، كقوله تعالى: ﴿ظَهَرَ ٱلۡفَسَادُ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ﴾ الآية، [الروم:41].
- **اليم:** وهو البحر[(3)]، ولم يذكر في القرآن إلا في سياق ذكر أخبار موسى عليه السلام، وقومه، وعدوه فرعون في ثمانية مواضع، كما في قوله تعالى: ﴿فَأَخَذۡنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٞ﴾ [الذاريات: 40].
- **الموج:** وهو ما علا وارتفع من أجزاء البحر عند اضطرابه[(4)]، وذكر في ستة مواضع، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوۡجٞ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ الآية، [لقمان: 32].
- **اللجة:** وهو الماء الكثير[(5)]، وورد في موضعين، في قوله تعالى: ﴿أَوۡ كَظُلُمَٰتٖ فِي بَحۡرٖ لُّجِّيّٖ﴾ الآية، [النور: 44]، وفي قوله: ﴿فَلَمَّا رَأَتۡهُ حَسِبَتۡهُ لُجَّةٗ﴾ الآية، [النمل: 44].
- **الأنهار:** ومفردها نهر، وقد ورد في أربعة وخمسين موضعاً، ذكر مجموعاً في واحد وخمسين موضعاً[(6)]، كما في قوله سبحانه: ﴿وَيَجۡعَل لَّكُمۡ أَنۡهَٰرٗا﴾ الآية، [نوح: 12]، وذكر مفرداً في ثلاثة مواضع[(7)]، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَنَهَرٖ﴾ [القمر: 54].
- **السري:** وهو النهر، أو الجدول الصغير[(8)]، وقد ذكر في موضع وحيد، وهو قوله تعالى: ﴿فَنَادَىٰهَا مِن تَحۡتِهَآ أَلَّا تَحۡزَنِي قَدۡ جَعَلَ رَبُّكِ تَحۡتَكِ سَرِيّٗا ٢٤﴾ [مريم: 24].

(1) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، (ج87/13).
(2) ينظر: عبد الباقي، محمد فؤاد، **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم**، (ج114/1).
(3) ينظر: الزجاج، **معاني القرآن وإعرابه**، (ج376/3)؛ النحاس، **معاني القرآن**، (ج72/3).
(4) ينظر: السمين الحلبي، **عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ**، (ج125/4).
(5) ينظر: الفراء، **معاني القرآن**، (ج295/2).
(6) ينظر: الشافعي، حسين محمد فهمي، **الدليل المفهرس لألفاظ القرآن الكريم**، (ج221/1).
(7) المصدر السابق، 867.
(8) ينظر: الفخر الرازي، **التفسير الكبير**، (ج527/21).

- **السيل:** وورد في موضعين، في قوله تعالى: ﴿فَٱحۡتَمَلَ ٱلسَّيۡلُ زَبَدٗا رَّابِيٗاۖ﴾ الآية، [الرعد: 17]، وفي قوله: ﴿فَأَعۡرَضُواْ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ سَيۡلَ ٱلۡعَرِمِ﴾ الآية، [سبأ: 16].
- **العيون:** وسميت بذلك لصفائها[1]، وورد في تسعة عشر موضعاً، كما في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلۡنَا فِيهَا جَنَّٰتٖ مِّن نَّخِيلٖ وَأَعۡنَٰبٖ وَفَجَّرۡنَا فِيهَا مِنَ ٱلۡعُيُونِ﴾ [يس: 34].
- **الينبوع والينابيع:** أي "عيناً ينبع منها الماء"[2]، وورد في موضعين، وهما قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفۡجُرَ لَنَا مِنَ ٱلۡأَرۡضِ يَنۢبُوعٗا﴾ [الإسراء: 90]، وقوله تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ الآية، [الزمر: 21].

المسألة الثانية: أسماء الماء، وصور ذكره في الهواء، والسماء:

- **السحاب:** وورد في تسعة مواضع من كتاب الله، كما في قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّحَابِ ٱلۡمُسَخَّرِ بَيۡنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ﴾ الآية، [البقرة: 164].
- **الغمام:** وورد في مواضع أربعة، كما في قوله تعالى: ﴿وَيَوۡمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلۡغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلٗا﴾ [الفرقان: 25).
- **الظلة:** وجمعها ظلل وظلال، وهي ما يظل من سحاب ونحوه[3]، ووردت في ستة مواضع، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذۡ نَتَقۡنَا ٱلۡجَبَلَ فَوۡقَهُمۡ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٞ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُۥ وَاقِعُۢ بِهِمۡ﴾ الآية، [الأعراف: 171].
- **العارض:** وهو السحاب الذي يعرض في أفق السماء[4]، وقد ذكر مرتين في موضع واحد على لسان عاد قوم هود عليه السلام، وذلك في قول الله: ﴿فَلَمَّا رَأَوۡهُ عَارِضٗا مُّسۡتَقۡبِلَ أَوۡدِيَتِهِمۡ قَالُواْ هَٰذَا عَارِضٞ مُّمۡطِرُنَاۚ﴾ الآية، [الأحقاف: 24].
- **الغيث:** وورد في ثلاثة مواضع، كما في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ مِنۢ بَعۡدِ مَا قَنَطُواْ وَيَنشُرُ رَحۡمَتَهُۥۚ وَهُوَ ٱلۡوَلِيُّ ٱلۡحَمِيدُ﴾ [الشورى: 28]، وقد يضاف إليه موضع رابع –على خلافٍ– في تفسير قوله تعالى في سورة يوسف: ﴿ثُمَّ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ عَامٞ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعۡصِرُونَ﴾ [يوسف: 49].
- **المطر:** وورد في ثمانية مواضع، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ إِن كَانَ بِكُمۡ أَذٗى مِّن مَّطَرٍ﴾ الآية، [النساء: 102].
- **الصيب:** وهو المطر، من صاب يصوب، أي: ينزل بكثرة[5]، وورد فقط في قوله تعالى: ﴿أَوۡ كَصَيِّبٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٞ وَرَعۡدٞ وَبَرۡقٞ﴾ الآية: [البقرة: 19].
- **الوابل:** وهو المطر الشديد[6]، وورد ثلاث مرات، كما في قوله تعالى: ﴿فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفۡوَانٍ عَلَيۡهِ تُرَابٞ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٞ فَتَرَكَهُۥ صَلۡدٗاۖ﴾ الآية، [البقرة: 265].
- **الودق:** وهو المطر[7]، وورد في موضعين، في قوله تعالى عن السحاب: ﴿فَتَرَى ٱلۡوَدۡقَ يَخۡرُجُ مِنۡ خِلَٰلِهِۦ﴾ الآية، [النور: 43] و[الروم: 48].
- **الطل:** وهو "الندى واللَّيِّن من المطر"[8]، ورد في موضع وحيد وهو تعالى: ﴿فَإِن لَّمۡ يُصِبۡهَا وَابِلٞ فَطَلّٞۗ﴾ الآية، [البقرة: 265].

---

(1) ينظر: ابن فارس، **معجم مقاييس اللغة**، (ج4/200).

(2) المحلي، والسيوطي، **تفسير الجلالين**، (ج1/376)، وللاستزادة ينظر: السمين الحلبي، **عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ**، (ج4/139)؛ ابن فارس، **معجم مقاييس اللغة**، (ج5/381).

(3) ينظر: راجح، محمد كريّم، **قبس من القرآن الكريم**، (ج1/173).

(4) ينظر: السمين الحلبي، **عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ**، (ج3/54)؛ المحلي، والسيوطي، **تفسير الجلالين**، (ج1/670).

(5) ينظر: السمين الحلبي، **عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ**، (ج2/358)؛ السعدي، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، (ج1/44).

(6) ينظر: الأخفش الأوسط، **معاني القرآن**، (ج1/200)؛ الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، (ج4/661).

(7) ينظر: النحاس، **معاني القرآن**، (ج4/543)؛ المحلي، والسيوطي، **تفسير الجلالين**، (ج1/466).

(8) الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، (ج4/675)؛ وينظر: الراغب الأصفهاني، **المفردات في غريب القرآن**، (ج1/522).

- **البَرَد:** وهو من الحالات الصلبة التي يتشكل فيها الماء، وهو مطر متجمد[1]، وقد ذكره الله في موضع وحيد وهو قوله: ﴿وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَصۡرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُۖ﴾ الآية، [النور: 43].

المطلب الثالث: أوصاف الماء التي وصف بها في القرآن الكريم:

تعددت أوصاف الماء في كتاب الله لتعدد سياقات ذكره وتنوع صوره، ولعلي أورد هنا بعض الأوصاف التي وصف بها الماء حسب ترتيب ذكرها في القرآن:

- **صديد:** وهو ما يسيل من جوف أهل النار مختلطاً بالقيح والدم[2]، كما في قوله تعالى: ﴿مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ وَيُسۡقَىٰ مِن مَّآءٖ صَدِيدٖ﴾ [إبراهيم: 16].
- **الغور:** وهو الغائر أو الذاهب في الأرض فلا تطوله الأيدي، ولا الدلاء[3]، كما في قوله تعالى: {﴿أَوۡ يُصۡبِحَ مَآؤُهَا غَوۡرٗا فَلَن تَسۡتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبٗا﴾ [الكهف: 41].
- **طهور:** كما في قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ طَهُورٗا﴾ الآية، [الفرقان: 48].
- **مهين:** وهو وصف للنطفة، ويدل على الحقارة والضعف[4]، كما في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلَ نَسۡلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٖ مِّن مَّآءٖ مَّهِينٖ﴾ [السجدة: 8].
- **آسن:** وهو المتغير[5]، ورد في موضع وحيد في قوله تعالى: ﴿فِيهَآ أَنۡهَٰرٞ مِّن مَّآءٍ غَيۡرِ ءَاسِنٖ﴾ الآية، [محمد: 15].
- **حميم:** أي شديد الحرارة والسخونة[6]، كما في قوله تعالى: ﴿وَسُقُواْ مَآءً حَمِيمٗا فَقَطَّعَ أَمۡعَآءَهُمۡ﴾ الآية، [محمد: 15].
- **مبارك:** كما في قوله تعالى: ﴿وَنَزَّلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ مُّبَٰرَكٗا فَأَنۢبَتۡنَا بِهِۦ جَنَّٰتٖ وَحَبَّ ٱلۡحَصِيدِ﴾ [ق: 9].
- **منهمر:** وهو المنصب صباً شديدة وبغزارة[7]، كما في قوله تعالى: ﴿فَفَتَحۡنَآ أَبۡوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٖ مُّنۡهَمِرٖ﴾ [القمر: 11].
- **آني:** وهو شديد الحرارة، بلغ النهاية في ذلك[8]، كما في قوله تعالى: ﴿يَطُوفُونَ بَيۡنَهَا وَبَيۡنَ حَمِيمٍ ءَانٖ﴾ [الرحمن: 44]، وقوله: ﴿تُسۡقَىٰ مِنۡ عَيۡنٍ ءَانِيَةٖ﴾ [الغاشية: 5].
- **مسكوب:** أي مصبوب[9] كما في قوله تعالى: ﴿وَمَآءٖ مَّسۡكُوبٖ﴾ [الواقعة: 31].
- **معين:** وهو الظاهر السهل المأخذ الذي تناله الايدي والدلاء[10]، كما في قوله تعالى: ﴿قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِنۡ أَصۡبَحَ مَآؤُكُمۡ غَوۡرٗا فَمَن يَأۡتِيكُم بِمَآءٖ مَّعِينِۢ﴾ [الملك: 30].
- **غدق:** وهو الكثير[11]، كما في قوله تعالى: ﴿وَأَلَّوِ ٱسۡتَقَٰمُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسۡقَيۡنَٰهُم مَّآءً غَدَقٗا﴾ [الجن: 16].
- **فرات:** وهو العذب الحلو[12]، كما في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلۡنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ شَٰمِخَٰتٖ وَأَسۡقَيۡنَٰكُم مَّآءٗ فُرَاتٗا﴾ [المرسلات: 27].
- **ثجاج:** وهو المنصب بكثرة[1]، كما في قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡمُعۡصِرَٰتِ مَآءٗ ثَجَّاجٗا﴾ [النبأ: 14].

(1) ينظر: السمين الحلبي، **عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ**، (ج176/1).
(2) ينظر: الزجاج، **معاني القرآن وإعرابه**، (ج157/3)؛ السيوطي، **الدر المنثور في التفسير بالمأثور**، (ج15/5).
(3) ينظر: راجح، محمد كريّم، **قبس من القرآن الكريم**، (ج298/1).
(4) ينظر: ابن فارس، **معجم مقاييس اللغة**، (ج283/5)؛ النحاس، **معاني القرآن**، (ج301/5).
(5) ينظر: الفراء، **معاني القرآن**، (ج60/3)؛ الشنقيطي، **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، (ج254/7).
(6) ينظر: المحلي، والسيوطي، **تفسير الجلالين**، (ج173/1)؛ القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، (ج16/7).
(7) ينظر: الزجاج، **معاني القرآن وإعرابه**، (ج87/5)؛ الصابوني، **صفوة التفاسير**، (ج267/3).
(8) ينظر: الزجاج، **معاني القرآن وإعرابه**، (ج317/5)؛ الفخر الرازي، **التفسير الكبير**، (ج369/29).
(9) السمين الحلبي، **عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ**، (ج206/2).
(10) ينظر: الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، (ج661/4)؛ راجح، محمد كريّم، **قبس من القرآن الكريم**، (ج564/1).
(11) ينظر: الراغب الأصفهاني، **المفردات في غريب القرآن**، (ج603/1)؛ المحلي، والسيوطي، **تفسير الجلالين**، (ج772/1).
(12) ينظر: السمين الحلبي، **عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ**، (ج208/3)؛ الصابوني، **صفوة التفاسير**، (ج475/3).

- **دافق:** وهذا وصف للنطفة، ومعناه: السيلان السريع[2]، كما في قوله تعالى: ﴿خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ﴾ [الطارق: 6].
- **الشرب:** كما في قوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ﴾ [النحل: 10].
- **سلسبيل:** وهو الشراب اللذيذ السهل الجريان في الحلق[3]، كما في قوله تعالى: ﴿عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا﴾ [الإنسان: 18].

وكل ما تقدم من أوصاف للماء فهو وصف مجرد، أما إذا تناولنا الماء في جميع صوره فهناك أوصاف كثيرة لم أذكرها، منها وصف البحر بأنه لجي، وأجاج، ووصف الغيث بالرحمة، والرزق، والإدرار، إلى غير ذلك من الأوصاف.

المبحث الثاني: الماء ومحاور القرآن

المطلب الأول: سياقات ذكر الماء في القرآن:

المسألة الأولى: الربوبية ونعمة والماء:

لعل من نافلة القول أن أبين أن موضوع البحث كله يدور حول هذا المطلب، فإن دراسة سياقات ذكر الماء في القرآن هي في حقيقتها محاولة لمعرفة منزلة الماء عند المتكلم بالقرآن، ولعلي أحاول في هذا المطلب أن أذكر أنواع السياقات القرآنية التي ذكر فيها الماء، وهي محاولة تقريبية لا تشمل جميع سياقات ذكر الماء بجميع صوره، بل حاولت التسديد، والمقاربة، وذكر الأكثر تكراراً:

- **سياق الإخبار** عن الله وأفعاله سبحانه بالماء، وذلك في مثل قوله تعالى: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾ الآية، [هود: 7]، وقوله: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ الآية، [الأنبياء: 30].
- **سياق إثبات الربوبية** وبيان القدرة الإلهية في خلق الماء وإنزاله، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [العنكبوت: 63].
- **سياق الامتنان والتسخير والتذكير** بنعمة الماء، وأثره في إحياء الأرض والنبات، كما في قوله: ﴿ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: 22]، وقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ ٱلْبَحْرَ لِتَجْرِيَ ٱلْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [الجاثية: 12].
- **سياق إثبات القدرة** على البعث والنشور، كما في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِي نَزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ﴾ [الزخرف: 11]، وقوله: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّٰتٍ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ ۝٩ وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ۝١٠ رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ ۖ وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ ۝١١﴾ [ق: 9- 11].
- **سياق ذكر بعض الأحكام الشرعية** المتعلقة بالماء، كالآيات التي تحدثت عن الوضوء والتيمم، ونحوها، كما في قوله تعالى: ﴿فَلَمْ تَجِدُوا۟ مَآءً فَتَيَمَّمُوا۟﴾ الآية، [النساء: 43]، وقوله تعالى: ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَن تَضَعُوٓا۟ أَسْلِحَتَكُمْ ۖ﴾ الآية، [النساء: 102].
- **سياق الإخبار التاريخي**، كمواضع ذكر الماء في القصص القرآني، وهي كثيرة جداً، ومن أوضح أمثلتها قصة نبي الله موسى عليه السلام، فلقد ألقي في الماء، وورده، وسقى منه، وشق له، وتفجرت اثنتا عشرة عيناً بين يديه، كما سيأتي في مبحثه.
- **سياق الإخبار المستقبلي**، كالمواضع التي ذكر فيها الماء مما يتعلق بالمعاد واليوم الآخر، وسيأتي تفصيله في مبحث مستقل.

---

(1) ينظر: الزمخشري، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، (ج686/4)؛ السمين الحلبي، **عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ**، (ج275/1).

(2) ينظر: الراغب الأصفهاني، **المفردات في غريب القرآن**، (ج316/1).

(3) ينظر: القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، (ج142/19)؛ السمين الحلبي، **عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ**، (ج215/2).

- **سياق ضرب الأمثال**، حيث يضرب الله أمثالاً يجعل الماء فيها مشبهاً به، أو يذكر الماء كمكون من مكونات المثل المضروب، وقد خصصت لهذه الأمثال مبحثاً سيأتي إن شاء الله.
- **سياق الوعد والوعيد** بإغداق الماء وسلبه، فالوعد كقوله تعالى: ﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا﴾ [الجن: 16)، والوعيد كقوله: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍۢ﴾ [الملك: 30].

المسألة الثانية: الماء والإنسان:

يخبرنا القرآن الكريم أن الماء يدخل في أصل نشأة الإنسان، ويصحبه من حين خلقه إلى يوم موته، ثم في يوم جزائه ودار قراره.

فالمادة التي خلق منها الإنسان هي الطين، وهو مزيج من الماء والتراب، وبداية خلقه من الماء المهين الدافق، وهو النطفة كما تقدم، وقد ذكر الله سبحانه هذا وبينه في أكثر من موضع في كتابه، كما في قوله: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ١٢ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ١٣﴾ [المؤمنون: 12- 13].

وقد جعل الله تعالى وفرة الماء علامة على الترف، وسعة الرزق، وطيب العيش في أكثر من موضع في كتابه، منها قوله تعالى على لسان هود لقومه: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱلَّذِىٓ أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ١٣٢ أَمَدَّكُم بِأَنْعَٰمٍ وَبَنِينَ١٣٣ وَجَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ١٣٤﴾ [الشعراء: 132- 134]، وقال عن فرعون وقومه: ﴿فَأَخْرَجْنَٰهُم مِّن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ٥٧ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ٥٨﴾ [الشعراء: 57- 58]، بل إن جريان أنهار مصرَ كان سبباً في تجبر فرعون، واستعلائه على موسى عليه السلام، وذلك حين قام خطيباً في قومه فقال: ﴿يَٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِي مِن تَحْتِىٓ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الزخرف: 51].

كما جعل تعطيل الماء علامة على خراب الديار، وذهاب العمران في قوله تعالى: ﴿فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ فَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ﴾ [الحج: 45].

ثم يخبرنا القرآن أن الماء سيظل مصاحباً للإنسان في دار الخلود مصاحبة تليق بعمله، وإيمانه جزاءً وفاقاً، وهذا ما سيُفصل في المبحث القادم إن شاء الله تعالى.

المطلب الثاني: الماء في الآخرة:

المسألة الأولى: الماء في البعث والنشور:

ذكر الله مآل مياه البحار يوم القيامة، حيث ذكر أنها تفجر، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ﴾ [الانفطار: 3]، وذكر في موضع آخر أنها تسجر، والتسجير هو الإيقاد حتى تصبح ناراً[1]، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ [التكوير: 6].

كما بين تعالى حال المجرمين في أرض المحشر، وافتقارَهم إلى الماء، وأنهم يساقون إلى النار عطاشاً، قال تعالى: ﴿وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا﴾ [مريم: 86].

المسألة الثانية: الماء في الجنة:

ارتبط ذكر الجنة في القرآن بالماء ارتباطاً يجعل الماء ووفرته من لوازم الجنة، ومن أعلى درجات نعيمها، وأبهى ما يزينها، فقد وصفت الجنة بجريان الأنهار من تحتها في ثلاثة وثلاثين موضعاً من كتاب الله، كما قرنت بالعيون في ثلاثة مواضع، فضلاً عن التفصيل في ذكر أوصاف تلك العيون، وطبيعة الأنهار، ولا يكاد يمر بك في كتاب الله موضع توصف فيه الجنة بإسهاب، أو اختصار إلا ويقرن الماء بالذكر، ومن تلك المواضع على سبيل المثال:

- قوله تعالى: ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ٢٧ فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ٢٨ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ٢٩ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ٣٠ وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ٣١﴾ [الواقعة: 27- 31].

(1) ينظر: ابن عطية، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، (ج442/5)؛ راجح، محمد كريّم، **قبس من القرآن الكريم**، (ج586/1).

- قوله تعالى: ﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاعِمَةٞ٨ لِّسَعۡيِهَا رَاضِيَةٞ٩ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٖ١٠ لَّا تَسۡمَعُ فِيهَا لَٰغِيَةٗ١١ فِيهَا عَيۡنٞ جَارِيَةٞ١٢﴾ [الغاشية: 8- 12].

كما جعل الله سبحانه توفر المياه، وقوة تدفقها أمارة على مرتبة النعيم، فكلما ازدادت المياه ارتفعت درجة النعيم، وكلما نقصت انخفضت رتبة النعيم، وهذا يتجلى واضحاً في سورة الرحمن حين جعل عيني الجنتين الأوليين –وهما الأعلى– عينين جاريتين، وعيني الجنتين الأخريين –وهما الأدنى– نضاختين[1].

المسألة الثالثة: الماء في النار:

وكما كان الماء قريناً لنعيم أهل الجنة؛ فقد جُعل فقده من أعظم عذابات أهل النار، حتى كان الماء من أوائل ما طلبوه من أهل الجنة حين نادوهم، كما بين هذا قوله تعالى في سورة الأعراف: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ أَنۡ أَفِيضُواْ عَلَيۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ أَوۡ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُۚ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [الأعراف: 50].

وقد تنوعت أوصاف الماء في النار في آيات متعددة، فمنها ما يصف حره، كقوله تعالى: ﴿وَسُقُواْ مَآءً حَمِيمٗا فَقَطَّعَ أَمۡعَآءَهُمۡ﴾ الآية، [محمد: 15].

ومنها ما يصف بشاعة طعمه وشدة تجرعه، كقوله تعالى: ﴿مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ وَيُسۡقَىٰ مِن مَّآءٖ صَدِيدٖ١٦ يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ وَيَأۡتِيهِ ٱلۡمَوۡتُ مِن كُلِّ مَكَانٖ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٖۖ وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٞ١٧﴾ [إبراهيم: 16- 17].

ومنها ما يصف هيئة شرب أهل النار له، فهم لا يكتفون منه بالجرعة، أو الجرعتين بل يشربونه شرب البهائم العطشى، كما قال تعالى: ﴿فَشَٰرِبُونَ عَلَيۡهِ مِنَ ٱلۡحَمِيمِ٥٤ فَشَٰرِبُونَ شُرۡبَ ٱلۡهِيمِ٥٥﴾ [الواقعة: 54- 55]. والهيم: الإبل التي أصابها داء فتشرب ولا تروى[2].

كما ذكر تعالى أنهم لا يشربون منه فقط، بل يصب من فوق رؤوسهم أيضاً، فقال: ﴿هَٰذَانِ خَصۡمَانِ ٱخۡتَصَمُواْ فِي رَبِّهِمۡۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قُطِّعَتۡ لَهُمۡ ثِيَابٞ مِّن نَّارٖ يُصَبُّ مِن فَوۡقِ رُءُوسِهِمُ ٱلۡحَمِيمُ١٩ يُصۡهَرُ بِهِۦ مَا فِي بُطُونِهِمۡ وَٱلۡجُلُودُ٢٠﴾ [الحج: 19- 20].

أعاذنا الله وإياكم من النار برحمته.

المبحث الثالث: الماء في أمثال القرآن، وفي قصص الأنبياء الواردة فيه

المطلب الأول: الماء في أمثال القرآن

ضرب الله عدة أمثال في القرآن ذكر فيها الماء وجعله محلاً للتشبيه أذكر منها:

المسألة الأولى: تشبيه الوحي والهدى الذي جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم بالماء المنزل من السماء:

وتجد هذا واضحاً في قوله تعالى: ﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَسَالَتۡ أَوۡدِيَةُۢ بِقَدَرِهَا فَٱحۡتَمَلَ ٱلسَّيۡلُ زَبَدٗا رَّابِيٗاۚ﴾ الآية، [الرعد: 17]، وفي هذا التشبيه يشبه سبحانه ما أنزله من الوحي والهدى بالغيث المنزل من السماء لبقاء نفعه، ولعموم خيره، وشبه القلوب بالأودية[3]، ومثل هذه الآية قوله تعالى: ﴿أَوۡ كَصَيِّبٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٞ وَرَعۡدٞ وَبَرۡقٞ يَجۡعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمۡ فِيٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلۡمَوۡتِۚ وَٱللَّهُ مُحِيطُۢ بِٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: 19][4].

(1) ينظر: سورة الرحمن، الآيات 46-50، والآيات 62-66.

(2) ينظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، (ج310/27).

(3) ينظر: الماوردي، **النكت والعيون**، (ج106/3).

(4) ينظر: الفخر الرازي، **التفسير الكبير**، (ج315/2).

المسألة الثانية: تشبيه الدنيا بالماء:

وقد ورد في ثلاثة مواضع، أولها في قوله سبحانه: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [يونس: 24].

وثانيها في قوله تعالى: ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا﴾ [الكهف: 45].

وثالثها في قول الباري: ﴿ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا ۖ وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾ [الحديد: 20].

وكل هذه الأمثلة تصب في نفس المعنى، وقد قال القرطبي رحمه الله معلقاً على هذا التشبيه: "وقالت الحكماء: إنما شبه –تعالى– الدنيا بالماء لأن الماء لا يستقر في موضع، كذلك الدنيا لا تبقى على [حال] واحد[1]، ولأن الماء لا يستقيم على حالة واحدة، كذلك الدنيا، ولأن الماء لا يبقى ويذهب، كذلك الدنيا تفنى، ولأن الماء لا يقدر أحد أن يدخله ولا يبتل، كذلك الدنيا لا يسلم أحد دخلها من فتنتها وآفتها، ولأن الماء إذا كان بقدر كان نافعاً منبتاً، وإذا جاوز المقدار كان ضاراً مهلكاً، وكذلك الدنيا، الكفاف منها ينفع، وفضولها يضر"[2].

كما ضرب الحق سبحانه أمثلة أخرى ذكر فيها الماء أيضاً، منها:

- قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبْطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا ۖ لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّمَّا كَسَبُواْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ٢٦٤ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍۭ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَاٰتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ٢٦٥﴾ [البقرة: 264– 265].
- وقوله تعالى: ﴿لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ ۖ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦ ۚ وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ﴾ [الرعد: 14].
- وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ [النور: 45].

المطلب الثاني: الماء في قصص الأنبياء الواردة في القرآن:

ارتبط كثير من قصص الأنبياء عليهم السلام الواردة في القرآن بذكر الماء، فكان نجاة للمؤمنين، وهلاكاً للكافرين المكذبين، بالإضافة إلى غير ذلك من حالات يوجد فيها الماء مصاحباً للأنبياء عليهم السلام، كما سيُذكر، ويُوضح إن شاء الله.

وقد سعيت جهدي لأجمع الأنبياء الذين ورد ذكر الماء في قصصهم في القرآن الكريم، بعيداً عن الاستطراد إلى غيره، فقد اقتصرت عليه، فألفيتهم خمسة عشر نبياً، وهذا عدد كبير كما هو واضح، تصل نسبة الأنبياء فيه إلى 60%، إذ مجموع الأنبياء الوارد ذكرهم في القرآن هم خمسة وعشرون نبياً، وبعضهم لم تذكر له قصة.

هذا، وأكثر من تعلقت قصصه بالماء من الأنبياء عليهم السلام هو موسى عليه السلام، ولا عجب، فهو أكثر الأنبياء قصصاً في القرآن، حتى قال بعضهم: كاد القرآن كله أن يكون لموسى[3].

(1) كذا في الأصل ولعل كلمة "حال" سقطت، فتكون العبارة "على حال واحد" والله أعلم.

(2) ينظر: القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، (ج412/10).

(3) السيوطي، **الإتقان في علوم القرآن**، (ج199/1).

ومن هذا المنطلق ارتأيت أن أفرد لموسى عليه السلام مطلباً، ولغيره من سائر الأنبياء مطلباً آخر، مبتدئاً بالأنبياء ثم موسى عليهم السلام جميعاً، وقد أشركت هارون من ضمن مطلب موسى لارتباطه به ارتباطاً وثيقاً.

المسألة الأولى: الأنبياء سوى موسى وهارون عليهم السلام:

آدم عليه السلام:

ابتدأ ذكر الماء في قصص الأنبياء مع أولهم، مع أبي البشرية، مع أبينا آدم عليه السلام، وذلك حين ذكّره الله سبحانه وتعالى بنعيم الجنة، فذكر منها وصفاً متعلقاً بالماء، وأن الابتعاد عنه يستلزم منه مقاساة الظمأ والعطش، فلا نعيم حينئذ، قال سبحانه: ﴿وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُاْ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ﴾ [طه: 119]، فيلزم من نفي الظمأ حصول الري[1].

وقال الرازي في تفسيره: "الشبع، والري، والكسوة، والاكتنان في الظل هي الأقطاب التي يدور عليها أمر الإنسان، فذكر الله تعالى حصول هذه الأشياء له في الجنة من غير حاجة إلى الكسب والطلب، وذكرها بلفظ النفي لأضدادها التي هي الجوع، والعري، والظمأ، والضحى ليطرق سمعه شيئاً من أصناف الشقوة التي حذره منها، حتى يبالغ في الاحتراز عن السبب الذي يوقعه فيها"[2].

نوح عليه السلام:

وبعد آدم عليه السلام، ذكر الماء مع أبي البشر الثاني، أول رسل الله إلى الأرض، نوح عليه السلام، والقصة في ذلك معروفة مشتهرة، فبعدما دعا نوح قومه إلى عبادة الله وحده، ونبذ ما كانوا يعبدونه من دون الله من الأصنام والأوثان، وأن يستغفروه ويتوبوا إليه، فهو سبيل لنزول المطر برحمة الله ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ١٠ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ١١﴾ [نوح: 10–11]، وبعدما صبر عليهم صبراً طويلاً كانت مدته ألف سنة إلا خمسين عاماً، ولم يؤمن معه إلا قليل؛ أخذ الطوفان الظالمين ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ﴾ [العنكبوت: 14].

وكان نوح عليه السلام يبني السفينة في مكان لا ماء فيه مما دعا قومه إلى الاستهزاء به، والسخرية منه قائلين له: صرت نجاراً بعد أن كنت نبياً[3]!؟ ولكنه لم يأبه لهزئهم مستعيناً بالله عز وجل، حتى أذن الله له بركوب السفينة بعد أن نبع الماء، وفار من التنور، وأمره أن يحمل معه أهله، وأن يحمل زوجين من كل صنف، ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ ۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [هود: 40]، ثم أمر الله أبواب السماء أن تفتح بماء منهمر، والأرض أن تنفجر عيوناً ﴿فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ١١ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ١٢﴾ [القمر: 11–12]، فامتلأت الأرض ماء ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَٰكُمْ فِي ٱلْجَارِيَةِ﴾ [الحاقة: 11]، فكان الطوفان عظيماً، والموج هائلاً، وصفه الله بوصف يتجلى منه صورة المشهد كاملة أمام نظر القارئ ﴿وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَٱلْجِبَالِ﴾ الآية، [هود: 42] فتأمل علو الموج، وارتفاعه حتى ناطح الجبال، وفي هذا الموقف العصيب، والمصاب الجلل، ينظر: نوح إلى ابنه الذي لم يركب معه السفينة، ويدعوه بإشفاق أن يركب معه، لكن دون جدوى إذ ظن أن الجبال ستعصمه من الغرق، حتى حال بينهما الموج، ﴿قَالَ سَـَٔاوِيٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ ٱلْمَآءِ ۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ﴾ [هود: 43].

ثم أمر سبحانه السماء أن تكف عن إنزال الماء، والأرض أن تسحب ماءها ﴿وَقِيلَ يَٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ ٱلْمَآءُ وَقُضِيَ ٱلْأَمْرُ وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِيِّ ۖ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [هود: 44]، فنجا من كان وما كان مع نوح في السفينة، وهلك من دونهم جميعاً، ﴿وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ٧٦ وَنَصَرْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ

(1) ينظر: الشوكاني، **فتح القدير**، (ج460/3).

(2) الفخر الرازي، **التفسير الكبير**، (ج107/22).

(3) ينظر: البيضاوي، **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، (ج134/3).

كَذَّبُواْ بِاٰيَٰتِنَآۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمَ سَوۡءٖ فَأَغۡرَقۡنَٰهُمۡ أَجۡمَعِينَ٧٧﴾ [الأنبياء: 76–77]، ﴿فَأَنجَيۡنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِي ٱلۡفُلۡكِ ٱلۡمَشۡحُونِ١١٩ ثُمَّ أَغۡرَقۡنَا بَعۡدُ ٱلۡبَاقِينَ١٢٠﴾ [الشعراء: 119–120]، فكان الماء رحمة ونجاة للمؤمنين، وكان حسرة وهلاكاً للمكذبين المعاندين.

هود عليه السلام:

ولم يغب ذكر الماء عن قصة هود عليه السلام مع قومه عاد، فالمطر بعد تكذيبهم نبيهم قد حبس عنهم ثلاث سنين[1]، فأمرهم نبيهم أن يعودوا إلى الله عز وجل، ويستغفروه كي يرزقهم المطر ﴿وَيَٰقَوۡمِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا وَيَزِدۡكُمۡ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمۡ وَلَا تَتَوَلَّوۡاْ مُجۡرِمِينَ﴾ [هود: 52]، ولكنهم لم يؤمنوا وظلوا في طغيانهم يعمهون، حتى رأوا سحابة فظنوها تمطرهم، وتحمل الخير إليهم، ولكن لم يكن لهم ما أرادوا، بل كان العذاب[2] ﴿فَلَمَّا رَأَوۡهُ عَارِضٗا مُّسۡتَقۡبِلَ أَوۡدِيَتِهِمۡ قَالُواْ هَٰذَا عَارِضٞ مُّمۡطِرُنَاۚ بَلۡ هُوَ مَا ٱسۡتَعۡجَلۡتُم بِهِۦۖ رِيحٞ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾ [الأحقاف: 24].

صالح عليه السلام:

وأما قوم صالح وهم ثمود، فقد سألوا نبيهم أن يخرج لهم ناقة من الصخرة[3]، وتكون ناقة عشراء، وأن تضع بين أيديهم وهم ينظرون، وأن ترد الماء فتشرب منه، ثم يحلبون منها لبناً بمقدار شربها[4]، فدعا لهم نبيهم؛ فاستجاب الله له، وأعطوا ما أرادوا، وقال صالح عليه السلام لهم: ﴿هَٰذِهِۦ نَاقَةٞ لَّهَا شِرۡبٞ وَلَكُمۡ شِرۡبُ يَوۡمٖ مَّعۡلُومٖ﴾ الآية، [الشعراء: 155]، وقال سبحانه يبين ذلك: ﴿وَنَبِّئۡهُمۡ أَنَّ ٱلۡمَآءَ قِسۡمَةُۢ بَيۡنَهُمۡۖ كُلُّ شِرۡبٖ مُّحۡتَضَرٞ﴾ [القمر: 28]، وبعد كل ما رأوا من آية مبهرة، ومعجزة بينة لا لبس فيها ولا غبش، كما ذكر الله: ﴿وَءَاتَيۡنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبۡصِرَةٗ﴾ الآية، [الإسراء: 59]، وكانت على قدر ما طلبوه، إلا أنهم كذبوا صالحاً وعقروا الناقة؛ فأخذهم العذاب.

إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام:

وقصتهما مع الماء قصة بينة، إذ يتعلق بها قلب كل مسلم محب حينما يذهب إلى مكة، ويرى ماء زمزم، ويشرب منه؛ فيتذكر تلك الرحلة التي ذهب فيها إبراهيم عليه السلام بزوجه هاجر، وابنه إسماعيل وهو رضيع، وتركهما في مكان قاحل، لا زرع فيه ولا ماء، فقال الخليل: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ﴾ [إبراهيم: 37]، ثم حارت أم إسماعيل ماذا تفعل وقد جاع ولدها، فراحت تسعى بين جبلي الصفا والمروة لعلها تجد أحداً ينقذهما، فسمعت صوتاً "... فَإِذَا هِيَ بِالْمَلَكِ عِنْدَ مَوْضِعِ زَمْزَمَ، فَبَحَثَ بِعَقِبِهِ، أَوْ قَالَ بِجَنَاحِهِ، حَتَّى ظَهَرَ المَاءُ، فَجَعَلَتْ تُحَوِّضُهُ وَتَقُولُ بِيَدِهَا هَكَذَا، وَجَعَلَتْ تَغْرِفُ مِنَ المَاءِ فِي سِقَائِهَا وَهُوَ يَفُورُ بَعْدَ مَا تَغْرِفُ. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَرْحَمُ اللَّهُ أُمَّ إِسْمَاعِيلَ، لَوْ تَرَكَتْ زَمْزَمَ – أَوْ قَالَ: لَوْ لَمْ تَغْرِفْ مِنَ المَاءِ –، لَكَانَتْ زَمْزَمُ عَيْنًا مَعِينًا» قَالَ: فَشَرِبَتْ وَأَرْضَعَتْ وَلَدَهَا، فَقَالَ لَهَا المَلَكُ: لاَ تَخَافُوا الضَّيْعَةَ، فَإِنَّ هَا هُنَا بَيْتَ اللَّهِ، يَبْنِي هَذَا الغُلاَمُ وَأَبُوهُ، وَإِنَّ اللَّهَ لاَ يُضِيعُ أَهْلَهُ، وَكَانَ البَيْتُ مُرْتَفِعًا مِنَ الأَرْضِ كَالرَّابِيَةِ، تَأْتِيهِ السُّيُولُ، فَتَأْخُذُ عَنْ يَمِينِهِ وَشِمَالِهِ، فَكَانَتْ كَذَلِكَ حَتَّى مَرَّتْ بِهِمْ رُفْقَةٌ مِنْ جُرْهُمَ، أَوْ أَهْلُ بَيْتٍ مِنْ جُرْهُمَ، مُقْبِلِينَ مِنْ طَرِيقِ كَدَاءٍ، فَنَزَلُوا فِي أَسْفَلِ مَكَّةَ فَرَأَوْا طَائِرًا عَائِفًا، فَقَالُوا: إِنَّ هَذَا الطَّائِرَ لَيَدُورُ عَلَى مَاءٍ، لَعَهْدُنَا بِهَذَا الوَادِي وَمَا فِيهِ مَاءٌ، فَأَرْسَلُوا جَرِيًّا أَوْ جَرِيَّيْنِ فَإِذَا هُمْ بِالْمَاءِ، فَرَجَعُوا فَأَخْبَرُوهُمْ بِالْمَاءِ فَأَقْبَلُوا، قَالَ: وَأُمُّ إِسْمَاعِيلَ عِنْدَ المَاءِ، فَقَالُوا: أَتَأْذَنِينَ لَنَا أَنْ نَنْزِلَ عِنْدَكِ؟ فَقَالَتْ: نَعَمْ، وَلَكِنْ لاَ حَقَّ لَكُمْ فِي المَاءِ، قَالُوا: نَعَمْ..."[5].

يوسف عليه السلام:

(1) ينظر: مقاتل، **تفسير مقاتل بن سليمان**، (ج285/2).

(2) ابن الجوزي، **زاد المسير في علم التفسير**، (ج110/4).

(3) ينظر: مجاهد، **تفسير مجاهد**، (ج513/1).

(4) ينظر: ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، (ج440/3).

(5) البخاري، **صحيح البخاري**، أحاديث الأنبياء/ باب، 142/4: رقم 3364.

قصة يوسف عليه السلام هي من أقرب القصص إلى قلوب الناس، فلا تكاد تجد أحداً يقرؤها، أو يسمعها من قارئ ذي صوت نديٍّ حسن؛ إلا وأحب أن يقف على آخرها.

وقد ورد الماء في قصة يوسف عليه السلام حينما حسد يوسفَ إخوتُه على حب أبيه له، وظنوا تفضيل أبيهم يوسفَ عليهم، فأرادوا أن يقتلوه، ثم أجمعوا أمرهم أن يجعلوه في قعر البئر وغوره حتى يغيب عن الأنظار[1]، ثم تأخذه القوافل معها بعيداً عن أبيهم، فأقنعوا أباهم أن يأخذوا يوسف في نزهة، فذهبوا به ﴿وَأَجۡمَعُوٓاْ أَن يَجۡعَلُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلۡجُبِّۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمۡرِهِمۡ هَٰذَا وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ﴾ الآية، [يوسف: 15]، وقد فعلوا، حتى جاءت قافلة سيارة ﴿فَأَرۡسَلُواْ وَارِدَهُمۡ فَأَدۡلَىٰ دَلۡوَهُۥۖ قَالَ يَٰبُشۡرَىٰ هَٰذَا غُلَٰمٞۚ وَأَسَرُّوهُ بِضَٰعَةٗۚ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ﴾ الآية، [يوسف: 19].

ثم مرت الأيام، وتتالت السنون، وطلب الملك من يؤول له الرؤيا التي رآها، فأولها يوسف عليه السلام، فكان فيما قاله: ﴿ثُمَّ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ عَامٞ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعۡصِرُونَ﴾ [يوسف: 49]، أي بالغيث والمطر[2].

داود عليه السلام:

أما داود عليه السلام فقصته مع الماء كانت عندما خرج بنو إسرائيل مع طالوت لقتال أعدائهم الذين أخرجوهم من ديارهم وأبنائهم –وكان داود عليه السلام معهم إذ هو الذي قتل جالوت–، وفي خضم سيرهم إلى لقاء عدوهم وجدوا نهراً، وكانوا وقتئذ عطشى[3]، فابتلاهم الله سبحانه وتعالى بأن لا يشربوا منه، وحذرهم طالوت من ذلك، ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِٱلۡجُنُودِ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ مُبۡتَلِيكُم بِنَهَرٖ فَمَن شَرِبَ مِنۡهُ فَلَيۡسَ مِنِّي وَمَن لَّمۡ يَطۡعَمۡهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّيٓ إِلَّا مَنِ ٱغۡتَرَفَ غُرۡفَةَۢ بِيَدِهِۦۚ فَشَرِبُواْ مِنۡهُ إِلَّا قَلِيلٗا مِّنۡهُمۡۗ﴾ الآية، [البقرة: 249].

سليمان عليه السلام:

وهذا سليمان بن داود عليهما السلام قد ورد ذكر الماء في قصته مع بلقيس ملكة سبأ، وذلك بعدما أراها عرشها حاضراً أمامها –وكان عرشاً عظيماً–، فأراد أن يبين لها أن ملكها لا يكاد يساوي شيئاً أمام ما أعطاه الله من الملك والعزة[4]، ﴿قِيلَ لَهَا ٱدۡخُلِي ٱلصَّرۡحَۖ فَلَمَّا رَأَتۡهُ حَسِبَتۡهُ لُجَّةٗ وَكَشَفَتۡ عَن سَاقَيۡهَاۚ قَالَ إِنَّهُۥ صَرۡحٞ مُّمَرَّدٞ مِّن قَوَارِيرَۗ قَالَتۡ رَبِّ إِنِّي ظَلَمۡتُ نَفۡسِي وَأَسۡلَمۡتُ مَعَ سُلَيۡمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [النمل: 44]، فهو صرح عظيم من زجاج قد أجرى سليمان عليه السلام الماء تحته[5]، فلم تتنبه له بلقيس، وظنت أنها تخوض في ماء حتى كشفت عن ساقيها، فلما رأت عظيم هذا الصنع؛ انقادت لله سبحانه، وأسلمت له.

أيوب عليه السلام:

أما النبي الصابر أيوب عليه السلام وقد عانى من فقد المال والولد، كما عانى في صحته وقتاً طويلاً، قيل ثماني عشرة سنة[6]، وبعد اشتداد هذا البلاء وطوله نادى أيوب ربه ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ الآية، [الأنبياء: 83]، فكان في غاية الأدب مع ربه سبحانه وتعالى، فلم يعاتب ربه أن جلس في المرض وقتاً طويلاً، وذهب ماله منه وولده، بل لم يطلب من الله الشفاء مباشرة، وإنما ذكرها بصيغة التعريض كما هو واضح من الآية، فاستجاب الله له، وأمره أن يستعمل الماء ففيه الشفاء بإذن

(1) الألوسي، **روح المعاني**، (ج384/6).

(2) ينظر: مقاتل، **تفسير مقاتل بن سليمان**، (ج338/2)؛ الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، (ج193/13).

(3) ينظر: ابن عطية، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، (ج334/1).

(4) ينظر: ابن الجوزي، **زاد المسير في علم التفسير**، (ج365/3).

(5) ينظر: الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، (ج80/18).

(6) ينظر: الزمخشري، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، (ج131/3).

الله، قال الله له: ﴿ٱرۡكُضۡ بِرِجۡلِكَۖ هَٰذَا مُغۡتَسَلُۢ بَارِدٞ وَشَرَابٞ﴾ [ص: 42]، فاغتسل فذهب ما به من داء ظاهر، وشرب فروي، وذهب منه ما كان من داء باطن[1].

يونس عليه السلام:

وسمي بصاحب الحوت كما في قول الله: ﴿فَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلۡحُوتِ إِذۡ نَادَىٰ وَهُوَ مَكۡظُومٞ﴾ [القلم: 48]، وهو ذو النون كما في قوله تعالى: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبٗا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: 87]، فارتباطه بماء البحر وثيق، إذ أضيف إلى الحوت الذي يعيش في البحار.

وأصل القصة أن يونس عليه السلام خرج من قومه مغاضباً، وواعدهم بالعذاب إذا لم يؤمنوا، ولم يكن الله قد أذن بخروجه، فقصد البحر، وركب السفينة، فاضطربت بهم، وخافوا الغرق، فاقترعوا في من يلقونه في البحر كي يخففوا من الحمولة، فالسفينة كانت مشحونة، وإذا بسهم يونس عليه السلام قد خرج، فألقى نفسه من السفينة إلى البحر، فالتقمه الحوت، وأمر الله الحوت ألا يهشم ليونس عظماً، وألا يأكل له لحماً[2]، وهذا قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ١٣٩ إِذۡ أَبَقَ إِلَى ٱلۡفُلۡكِ ٱلۡمَشۡحُونِ١٤٠ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ ٱلۡمُدۡحَضِينَ١٤١ فَٱلۡتَقَمَهُ ٱلۡحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٞ١٤٢﴾ [الصافات: 139-142].

ولكن الله سبحانه وتعالى نجاه بعدما نادى في الظلمات ﴿أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ الآية، [الأنبياء: 87]، فهو له سابقة عند ربه سبحانه وتعالى، نفعته وقت الشدة والضيق، ﴿فَلَوۡلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلۡمُسَبِّحِينَ١٤٣ لَلَبِثَ فِي بَطۡنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ١٤٤﴾ [الصافات: 143-144].

عيسى عليه السلام:

ورد ذكر الماء في قصة عيسى عليه السلام مع أمه في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلۡنَا ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةٗ وَءَاوَيۡنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبۡوَةٖ ذَاتِ قَرَارٖ وَمَعِينٖ﴾ [المؤمنون: 50]، والربوة: هي ما ارتفع من الأرض، والنبات أحسن ما يكون فيه[3]، ووصفها الله بأنها مستقرة مستوية[4]، والمعين: هو الماء الجاري الظاهر[5]، وقيل: هو السري[6] الذي ذكره الله في قوله: ﴿قَدۡ جَعَلَ رَبُّكِ تَحۡتَكِ سَرِيّٗا﴾ الآية، [مريم: 24]، واختلف في المكان على أربعة أقوال: دمشق، الرملة في فلسطين، بيت المقدس، مصر[7].

أما سبب الإيواء "فقال أبو صالح عن ابن عباس: فرَّت مريم بابنها عيسى من ملكهم، ثم رجعت إلى أهلها بعد اثنتي عشرة سنة، قال وهب بن منبه: وكان الملك أراد قتل عيسى"[8].

محمد صلى الله عليه وسلم:

وأما خاتم الأنبياء والمرسلين، وسيد العالمين، فقد ورد له ذكر الماء حينما خاصمه رؤوس الكفر في قريش وساداتهم على سبيل التعنت، ﴿وَقَالُواْ لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفۡجُرَ لَنَا مِنَ ٱلۡأَرۡضِ يَنۢبُوعٗا٩٠ أَوۡ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٞ مِّن نَّخِيلٖ وَعِنَبٖ فَتُفَجِّرَ ٱلۡأَنۡهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفۡجِيرٗا٩١﴾ [الإسراء: 90-91].

وأصل هذه القصة حديث طويل أورده غير ما واحد من المفسرين، كالطبري، والقرطبي، وابن كثير، وكذا ذكرها ابن هشام في السيرة، نورد منه ما يتعلق بموضوعنا الذي نحن بصدده، قال صناديد قريش: "... يَا مُحَمَّدُ، فَإِنْ كُنْتَ غَيْرَ قَابِلٍ مِنَّا مَا عَرَضْنَا

(1) ينظر: الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، (ج364/16)؛ الماوردي، **النكت والعيون**، (ج102/5).
(2) ينظر: ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، (ج366/5).
(3) ينظر: المصدر السابق، 476.
(4) ينظر: الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، (ج55/17).
(5) ينظر: الزجاج، **معاني القرآن وإعرابه**، (ج/4)15؛ السيوطي، **الدر المنثور في التفسير بالمأثور**، (ج100/6).
(6) ينظر: الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، (ج57/17).
(7) ينظر: الماوردي، **النكت والعيون**، (ج56/4).
(8) ابن الجوزي، **زاد المسير في علم التفسير**، (ج264/3).

عَلَيْكَ، فَقَدْ عَلِمْتَ أَنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ أَضْيَقَ بِلَادًا، وَلَا أَقَلَّ مَالًا، وَلَا أَشَد عَيْشًا مِنَّا، فَسَلْ رَبَّكَ الَّذِي بَعَثَكَ بِمَا بَعَثَكَ بِهِ، فَلْيُسَيِّرْ عَنَّا هَذِهِ الْجِبَالَ الَّتِي قَدْ ضُيِّقَتْ عَلَيْنَا، وَيَبْسُطْ لَنَا بِلَادِنَا، وَلْيُفَجِّرْ لَنَا فِيهَا أَنْهَارًا كَأَنْهَارِ الشَّامِ وَالْعِرَاقِ، وَلْيَبْعَثْ لَنَا مَنْ مَضَى مِنْ آبَائِنَا، وَلْيَكُنْ فِيمَنْ يَبْعَثُ لَنَا مِنْهُمْ قُصَيُّ بْنُ كِلَابٍ، فَإِنَّهُ كَانَ شَيْخًا صَدُوقًا، فَنَسْأَلُهُمْ عَمَّا تَقُولُ، حَقٌّ هُوَ أَمْ بَاطِلٌ؟ فَإِنْ صَنَعْتَ مَا سَأَلْنَاكَ، وَصَدَّقُوكَ صَدَّقْنَاكَ، وَعَرَفْنَا بِهِ مَنْزِلَتَكَ عِنْدَ اللَّهِ، وَأَنَّهُ بَعَثَكَ بِالْحَقِّ رَسُولًا، كَمَا قَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَمَا بِهَذَا بُعِثْتُ، إِنَّمَا جِئْتُكُمْ مِنَ اللَّهِ بِمَا بَعَثَنِي بِهِ، فَقَدْ بَلَّغْتُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ، فَإِنْ تَقْبَلُوهُ فَهُوَ حَظُّكُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَإِنْ تَرُدُّوهُ عَلَيَّ أَصْبِرُ لِأَمْرِ اللَّهِ حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ» قَالُوا: فَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ لَنَا هَذَا، فَخُذْ لِنَفْسِكَ، فَسَلْ رَبَّكَ أَنْ يَبْعَثَ مَلَكًا يُصَدِّقُكَ بِمَا تَقُولُ، وَيُرَاجِعُنَا عَنْكَ، وَاسْأَلْهُ فَلْيَجْعَلْ لَكَ جِنَانًا وَكُنُوزًا وَقُصُورًا مِنْ ذَهَبٍ وَفِضَّةٍ، وَيُغْنِيكَ بِهَا عَمَّا نَرَاكَ تَبْتَغِي، فَإِنَّكَ تَقُومُ بِالْأَسْوَاقِ، وَتَلْتَمِسُ الْمَعَاشَ كَمَا نَلْتَمِسُهُ، حَتَّى نَعْرِفَ فَضْلَ مَنْزِلَتِكَ مِنْ رَبِّكَ إِنْ كُنْتَ رَسُولًا كَمَا تَزْعُمُ، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا أَنَا بِفَاعِلٍ، مَا أَنَا بِالَّذِي يَسْأَلُ رَبَّهُ هَذَا، وَمَا بُعِثْتُ إِلَيْكُمْ بِهَذَا، وَلَكِنَّ اللَّهَ بَعَثَنِي بَشِيرًا وَنَذِيرًا، فَإِنْ تَقْبَلُوا مَا جِئْتُكُمْ بِهِ فَهُوَ حَظُّكُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَإِنْ تَرُدُّوهُ عَلَيَّ أَصْبِرُ لِأَمْرِ اللَّهِ حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ...»"[1].

وكان للماء أيضاً دور جوهري في غزوة بدر، وهو ماء نزل بقربه النبي صلى الله عليه وسلم[2]، فظهر هذا الدور في قوله تعالى: ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ﴾ [الأنفال: 11]، فكان للماء أربعة أدوار رئيسة كما هو ظاهر من الآية، قال الطبري: "ذَلِكَ مَطَرٌ أَنْزَلَهُ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ يَوْمَ بَدْرٍ، لِيُطَهِّرَ بِهِ الْمُؤْمِنِينَ لِصَلَاتِهِمْ؛ لِأَنَّهُمْ كَانُوا أَصْبَحُوا يَوْمَئِذٍ مُجْنِبِينَ عَلَى غَيْرِ مَاءٍ، فَلَمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْمَاءَ اغْتَسَلُوا وَتَطَهَّرُوا، وَكَانَ الشَّيْطَانُ وَسْوَسَ لَهُمْ بِمَا حَزَنَهُمْ بِهِ مِنْ إِصْبَاحِهِمْ مُجْنِبِينَ عَلَى غَيْرِ مَاءٍ، فَأَذْهَبَ اللَّهُ ذَلِكَ مِنْ قُلُوبِهِمْ بِالْمَطَرِ فَذَلِكَ رَبْطُهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَتَقْوِيَتُهُ أَسْبَابَهُمْ وَتَثْبِيتُهُ بِذَلِكَ الْمَطَرِ أَقْدَامَهُمْ؛ لِأَنَّهُمْ كَانُوا الْتَقَوْا مَعَ عَدُوِّهِمْ عَلَى رَمْلَةٍ هَشَّاءَ فَلَبَّدَهَا الْمَطَرُ حَتَّى صَارَتِ الْأَقْدَامُ عَلَيْهَا ثَابِتَةً لَا تَسُوخُ فِيهَا"[3].

المسألة الثانية: موسى ومعه أخوه هارون عليهما السلام:

علاقة موسى عليه السلام مع الماء علاقة متجذرة، مرت بأطوار كثيرة من حياته، ابتدأت من لحظة ولادته حين خافت أمه عليه من القتل، فأوحى الله إليها ﴿أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِي ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِي ٱلْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَّهُۥ﴾ الآية، [طه: 39]، فتربى في بيت العدو فرعون، وكلاهما لا يدري أنه سيكون عدواً للآخر.

وإذا بالأيام تمضي، ويقتل موسى رجلاً قبطياً من دون قصد، وذلك عندما وكزه دفاعاً عن الإسرائيلي الذي استنجد بموسى، واستغاث به، فخرج من المدينة خائفاً يترقب، ويمم تلقاء مدين، وهناك ورد الماء، ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ﴾ الآية، [القصص: 23]، فوجد عليه جماعة من الناس يسقون، ثم فرغوا وأعادوا الحَجَر على البئر، وكان عظيماً لا يستطيع رفعه إلا العصبة من الرجال، وإذا هو بامرأتين تطردان الغنم عن السقيا ﴿وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِّ﴾ الآية، [القصص: 23]، فسألهما عن ذلك ﴿مَا خَطْبُكُمَاۖ قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُۖ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾ الآية، [القصص: 23]، فلا تستطيعان مزاحمة الرجال، ولا أبوهما يستطيع أن يسقي بسبب كبر سنه[4]، فرفع موسى الحجر عن البئر وحده، وسقى لهما حتى رويت الغنم، ثم تولى إلى الظل[5].

(1) ينظر: الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، (ج15/88؛) ابن هشام، **السيرة النبوية**، (ج1/297).

(2) ينظر: ابن هشام، **السيرة النبوية**، (ج1/616).

(3) الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، (ج11/62).

(4) ينظر: الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، (ج18/212).

(5) ينظر: مجاهد، **تفسير مجاهد**، (ج1/526).

ومكث عليه السلام ما شاء الله له أن يمكث في مدين، ثم رجع إلى مصر، وفي طريق عودته أوحى الله إليه بالنبوة والرسالة، فأتى فرعون يحاججه ويطلب منه أن يرسل معه بني إسرائيل بعدما سامهم سوء العذاب، واستعبدهم، فأبى فرعون وراح يفاخر بجريان الماء من تحته قائلاً: ﴿أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِي مِن تَحْتِيٓ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ الآية، [الزخرف: 51]، فذكره موسى وهارون عليهما السلام بالله، وقد أعطى الله موسى تسع آيات بينات لعل فرعون يتذكر أو يرجع، ومن الآيات آيتان متعلقتان بالماء، قال سبحانه: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ فَٱسْتَكْبَرُواْ وَكَانُواْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾ [الأعراف: 133]، فالطوفان –على قول– هو شدة المطر والريح[1]، وقيل عن الدم: إن مياههم صارت دماً، حتى النيل سال دماً[2]، فسألوا موسى أن يسأل الله أن يكشف عنهم العذاب، فإذا فعل أرسلوا معه بني إسرائيل، فلما كشف العذاب عنهم؛ نكثوا عهدهم، وظلوا في عتوهم، وعنادهم، واستكبارهم، إلى أن أذن الله لموسى ومن معه بالمسير ليلاً هروباً من فرعون وبطشه، فأتبعهم فرعون وجنوده حتى وصل إليهم وهم عند البحر، فالعدو من خلف بني إسرائيل، والبحر من أمامهم، فأسقط في أيديهم، إلا أن موسى عليه السلام الواثق بربه ﴿قَالَ كَلَّآ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ٦٢ فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ٦٣﴾ [الشعراء: 62–63]، ﴿فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي ٱلْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ﴾ الآية، [طه: 77)، فمشى بنو إسرائيل في طريق يابس لا ماء فيه، معجزة من الله سبحانه يرونها عياناً، وكذلك رآها فرعون وجنوده، ولكنهم لم يرعووا، ولم يكفوا، بل ساروا وراء بني إسرائيل يخوضون البحر، فلما جاوز بنو إسرائيل البحر أذن الله بهلاك فرعون ومن معه، ﴿وَجَٰوَزْنَا بِبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ بَغْيًا وَعَدْوًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِيٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [يونس: 90]، فندم ولات حين مندم، إذ لا ينفع عند الغرغرة وتيقن الموت، فانتقم الله من المجرمين المكذبين الظالمين، وكان حقاً، ﴿فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ فِي ٱلْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ عَنْهَا غَٰفِلِينَ﴾ [الأعراف: 136]، ﴿وَٱسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ٣٩ فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِي ٱلْيَمِّ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ٤٠﴾ [القصص: 39–40].

وبعدما جاوز بنو إسرائيل البحر، ورأوا المعجزة بأعينهم، وكيف نجاهم الله، وأغرق فرعون وقومه كما قال سبحانه: ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ فَأَنجَيْنَٰكُمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾ [البقرة: 50]؛ لم يلبثوا إلا نزراً يسيراً حتى قالوا قولاً عظيماً، يقول سبحانه فيه يصف حالهم، وسرعة تقلبهم، ﴿وَجَٰوَزْنَا بِبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتَوْاْ عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ ۚ قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ [الأعراف: 138]، وظل موسى عليه السلام يعالجهم كي تستقيم قلوبهم بالإيمان، إلى أن حدثت حادثة نكصوا فيها على أعقابهم، ونكسوا على رؤوسهم، وهي اتخاذهم العجل الذي صنعه السامري إلهاً، فغضب موسى غضباً شديداً، وعتب على هارون، وجره من شعر رأسه ولحيته، وتوعد السامري بأن إلهه سيُحرق ويقذف في الماء، إذ ﴿نَفْسِي٩٦ قَالَ فَٱذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي ٱلْحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ ۖ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُۥ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا ۖ لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِي ٱلْيَمِّ نَسْفًا٩٧ إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا٩٨﴾ [طه: 97–98].

وبعد ذلك سار موسى ببني إسرائيل نحو فلسطين، وأمرهم بدخول الأرض المقدسة، فأبوا وامتنعوا، فعوقبوا بالتيه[3]، وهناك استسقى موسى لقومه، وكانوا اثني عشر سبطاً، يقول سبحانه في هذا: ﴿وَقَطَّعْنَٰهُمُ ٱثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ إِذِ ٱسْتَسْقَىٰهُ قَوْمُهُۥٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنۢبَجَسَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۚ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْغَمَٰمَ وَأَنزَلْنَا

(1) ينظر: الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، (ج381/10)؛ الزجاج، **معاني القرآن وإعرابه**، (ج369/2).

(2) ينظر: الواحدي، **الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، (ج409/1).

(3) ينظر: مقاتل، **تفسير مقاتل بن سليمان**، (ج110/1).

عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَنَّ وَٱلسَّلۡوَىٰۖ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡۚ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ﴾ [الأعراف: 160]، فكان لكل سبط منهم عيناً، لا يخالطهم فيها أحد، فرووا بإذنه سبحانه[1].

ولم يقتصر ذكر الماء على قصة موسى مع فرعون وبني إسرائيل وحسب، بل امتد الأمر إلى غير ذلك، فورد ذكره مع فتاه يوشع بن نون حين أرادوا ملاقاة الخضر، ثم ما حدث له من عجائب حين لقوا الخضر، قال تعالى: ﴿وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبۡرَحُ حَتَّىٰٓ أَبۡلُغَ مَجۡمَعَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ أَوۡ أَمۡضِيَ حُقُبٗا﴾ [الكهف: 60]، وأصل هذه القصة ورد في صحيح البخاري إذ "قَامَ مُوسَى خَطِيبًا فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ فَقِيلَ لَهُ: أَيُّ النَّاسِ أَعْلَمُ؟ قَالَ: أَنَا، فَعَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِ إِذْ لَمْ يَرُدَّ العِلْمَ إِلَيْهِ، وَأَوْحَى إِلَيْهِ: بَلَى عَبْدٌ مِنْ عِبَادِي بِمَجْمَعِ البَحْرَيْنِ، هُوَ أَعْلَمُ مِنْكَ، قَالَ: أَيْ رَبِّ، كَيْفَ السَّبِيلُ إِلَيْهِ؟ قَالَ: تَأْخُذُ حُوتًا فِي مِكْتَلٍ، فَحَيْثُمَا فَقَدْتَ الحُوتَ فَاتَّبِعْهُ، قَالَ: فَخَرَجَ مُوسَى وَمَعَهُ فَتَاهُ يُوشَعُ بْنُ نُونٍ، وَمَعَهُمَا الحُوتُ حَتَّى انْتَهَيَا إِلَى الصَّخْرَةِ، فَنَزَلاَ عِنْدَهَا، قَالَ: فَوَضَعَ مُوسَى رَأْسَهُ فَنَامَ... وَفِي أَصْلِ الصَّخْرَةِ عَيْنٌ يُقَالُ لَهَا: الحَيَاةُ لاَ يُصِيبُ مِنْ مَائِهَا شَيْءٌ إِلَّا حَيِيَ، فَأَصَابَ الحُوتَ مِنْ مَاءِ تِلْكَ العَيْنِ – قَالَ: فَتَحَرَّكَ وَانْسَلَّ مِنَ المِكْتَلِ، فَدَخَلَ البَحْرَ فَلَمَّا اسْتَيْقَظَ مُوسَى قَالَ لِفَتَاهُ: ﴿ءَاتِنَا غَدَآءَنَا﴾ [الكهف: 62] الآيَةَ، قَالَ: وَلَمْ يَجِدِ النَّصَبَ حَتَّى جَاوَزَ مَا أُمِرَ بِهِ، قَالَ لَهُ فَتَاهُ يُوشَعُ بْنُ نُونٍ: ﴿أَرَءَيۡتَ إِذۡ أَوَيۡنَآ إِلَى ٱلصَّخۡرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ ٱلۡحُوتَ﴾ [الكهف: 63] الآيَةَ، قَالَ: فَرَجَعَا يَقُصَّانِ فِي آثَارِهِمَا، فَوَجَدَا فِي البَحْرِ كَالطَّاقِ مَمَرَّ الحُوتِ، فَكَانَ لِفَتَاهُ عَجَبًا، وَلِلْحُوتِ سَرَبًا، قَالَ: فَلَمَّا انْتَهَيَا إِلَى الصَّخْرَةِ، إِذْ هُمَا بِرَجُلٍ مُسَجًّى بِثَوْبٍ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ مُوسَى، قَالَ: وَأَنَّى بِأَرْضِكَ السَّلاَمُ، فَقَالَ: أَنَا مُوسَى، قَالَ: مُوسَى بَنِي إِسْرَائِيلَ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: ﴿هَلۡ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمۡتَ رُشۡدٗا﴾ [الكهف: 66]؟ قَالَ لَهُ الخَضِرُ: يَا مُوسَى، إِنَّكَ عَلَى عِلْمٍ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ عَلَّمَكَهُ اللَّهُ لاَ أَعْلَمُهُ، وَأَنَا عَلَى عِلْمٍ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ عَلَّمَنِيهِ اللَّهُ لاَ تَعْلَمُهُ، قَالَ: بَلْ أَتَّبِعُكَ، ﴿قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعۡتَنِي فَلَا تَسۡـَٔلۡنِي عَن شَيۡءٍ حَتَّىٰٓ أُحۡدِثَ لَكَ مِنۡهُ ذِكۡرٗا﴾ [الكهف: 70]، فَانْطَلَقَا يَمْشِيَانِ عَلَى السَّاحِلِ فَمَرَّتْ بِهِمْ سَفِينَةٌ فَعُرِفَ الخَضِرُ فَحَمَلُوهُمْ فِي سَفِينَتِهِمْ بِغَيْرِ نَوْلٍ – يَقُولُ بِغَيْرِ أَجْرٍ – فَرَكِبَا السَّفِينَةَ، قَالَ: وَوَقَعَ عُصْفُورٌ عَلَى حَرْفِ السَّفِينَةِ فَغَمَسَ مِنْقَارَهُ فِي البَحْرِ، فَقَالَ الخَضِرُ لِمُوسَى: مَا عِلْمُكَ وَعِلْمِي وَعِلْمُ الخَلاَئِقِ فِي عِلْمِ اللَّهِ إِلَّا مِقْدَارُ مَا غَمَسَ هَذَا العُصْفُورُ مِنْقَارَهُ، قَالَ: فَلَمْ يَفْجَأْ مُوسَى إِذْ عَمَدَ الخَضِرُ إِلَى قَدُومٍ فَخَرَقَ السَّفِينَةَ، فَقَالَ لَهُ مُوسَى: قَوْمٌ حَمَلُونَا بِغَيْرِ نَوْلٍ، عَمَدْتَ إِلَى سَفِينَتِهِمْ فَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا ﴿لَقَدۡ جِئۡتَ﴾ [الكهف: 71) الآية..."[2]، ثم بين له المراد من خرق السفينة فقال: ﴿أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتۡ لِمَسَٰكِينَ يَعۡمَلُونَ فِي ٱلۡبَحۡرِ فَأَرَدتُّ أَنۡ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٞ يَأۡخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصۡبٗا﴾ [الكهف: 79]، "... فَأَرَدْتُ إِذَا هِيَ مَرَّتْ بِهِ أَنْ يَدَعَهَا لِعَيْبِهَا، فَإِذَا جَاوَزُوا أَصْلَحُوهَا فَانْتَفَعُوا بِهَا – وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ: سَدُّوهَا بِقَارُورَةٍ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ بِالقَارِ..."[3].

فهذا ما ورد مع موسى عليه السلام في شأن الماء.

(1) ينظر: المصدر السابق.

(2) البخاري: **صحيح البخاري**، كتاب تفسير القرآن/ {فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ: آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا، قَالَ: أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الحُوتَ} [الكهف: 63)، 89/6: رقم 4727.

(3) البخاري: **صحيح البخاري**، تفسير القرآن/ قوله: {فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي البَحْرِ سَرَبًا} [الكهف: 61)، 89/6: رقم 4726.

خاتمة

كانت هذه لمحة مختصرة عن ذكر الماء في القرآن وأنواعه وأوصافه وغيرها من المسائل المتعلقة بذكر الماء.

والنتائج التي قد تبينت من خلال البحث هي ما يلي:

- كثرة مواضع ذكر الماء في القرآن الكريم.
- اختلاف وتنوع أساليب ذكر الماء والأغراض التي جاء فيها.
- تركيز القرآن على الماء كعنصر أساس من مكونات النعيم في الآخرة.
- استعمال الماء كمضرب مثل في مختلف الجوانب.
- استعماله بكثرة في قصص الأنبياء.

أما الوصايا فهي:

- حث الباحثين للاهتمام وتكثيف الأبحاث حول الماء في القرآن، فهو عنصر مهم فعّال، تحتاجه البشرية في كل وقت وحين، والبحوث في ذلك قليلة شحيحة.
- إدامة النظر في كتاب الله، ومحاولة استخراج كنوزه، وخاصة فيما يتعلق بالتفاسير العلمية حول الماء وغيره من العناصر.
- تقدير نعمة الماء، وعدم الإسراف فيه، ولو كان الإنسان على نهر جار.

ثم الحمد لله الذي أعانني ويسر لي هذا الجمع المختصر، والله أسأل أن يعفو عن ما جاء فيه من سهوٍ وزلل، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمدٍ وعلى آله وصحبه أجمعين.

المصادر والمراجع

أولاً: المراجع العربية:

القرآن الكريم

الأخفش الأوسط، أبو الحسن المجاشعي البلخي ثم البصري. (1411هـ/ 1990م). *معاني القرآن*. تحقيق: هدى محمود قراعة. ط1. القاهرة: مكتبة الخانجي.

الألوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني. (1415هـ). *روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني*. تحقيق: علي عبد الباري عطية. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية.

البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل. (1422هـ). *صحيح البخاري*. تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر. ط1. بيروت: دار طوق النجاة.

البيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر الشيرازي. (1418هـ). *أنوار التنزيل وأسرار التأويل*. تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي. ط1. بيروت: دار إحياء التراث العربي.

ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي. (1422هـ). *زاد المسير في علم التفسير*. تحقيق: عبد الرزاق المهدوي. ط1. بيروت: دار الكتاب العربي.

الجوهري، إسماعيل بن حماد الفارابي. (1407هـ/ 1987م). *الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية*. تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار. ط4. بيروت: دار العلم للملايين.

الدامغاني، أبو عبد الله الحسين بن محمد. (د.ت). *الوجوه والنظائر لألفاظ كتاب الله العزيز*. تحقيق: عربي عبد الحميد علي. د.ط. بيروت: دار الكتب العليمة.

راجح، محمد كريّم. (1433هـ/ 2012م). *قبس من القرآن الكريم*. د.ط. الكويت: إدارة الثقافة الإسلامية.

الرازي، محمد بن أبي بكر. (1420هـ/ 1999م). *مختار الصحاح*. تحقيق: يوسف الشيخ محمد. ط5. بيروت: المكتبة العصرية.
الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد. (1412هـ). *المفردات في غريب القرآن*. تحقيق: صفوان عدنان داوودي. ط1. بيروت: دار القلم.
الزبيدي، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني. (د.ت). *تاج العروس من جواهر القاموس*. د.ط. د.م: دار الهداية.
الزجاج، أبو إسحاق إبراهيم بن السري بن سهل. (1408هـ/ 1988م). *معاني القرآن وإعرابه*. تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي. ط1. بيروت: عالم الكتب.
الزعارير، غالب محمد رجا. (1424هـ/ 2003م). *الماء في القرآن الكريم. ط1*. المدينة المنورة: مكتبة دار الزمان للنشر والتوزيع.
الزمخشري، جار الله أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد. (1407هـ). *الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل*. ط3. بيروت: دار الكتاب العربي.
السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله. (1420هـ/ 2000م). *تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان*. تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق. ط1. د.م: مؤسسة الرسالة.
السمين الحلبي، شهاب الدين أبو العباس أحمد بن يوسف. (1417هـ/ 1996م). *عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ*. تحقيق: محمد باسل عيون السود. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية.
السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر. (1394هـ/ 1974م). *الإتقان في علوم القرآن*. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. د.ط. مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر. (د.ت). *الدر المنثور في التفسير بالمأثور*. د.ط. بيروت: دار الفكر.
الشافعي، حسين محمد فهمي. (1418هـ/ 1998م). *الدليل المفهرس لألفاظ القرآن الكريم*. ط1. القاهرة: دار السلام.
الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار. (1415هـ/ 1995م). *أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن*. د.ط. بيروت: دار الفكر.
الشوكاني، محمد بن علي اليمني. (1414هـ). *فتح القدير*. ط1. بيروت: دار ابن كثير.
الصابوني، محمد علي. (1417هـ/ 1997م). *صفوة التفاسير*. ط1. القاهرة: دار الصابوني.
الطبري، محمد بن جرير. (1422هـ/ 2001م). *جامع البيان عن تأويل آي القرآن*. تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي. ط1. د.م: دار هجر.
العبادسة، فتحي عبد العزيز. (1422هـ/ 2002م). *الماء في القرآن الكريم "دراسة موضوعية"* (رسالة ماجستير غير منشورة). الجامعة الإسلامية–غزة، فلسطين.
ابن عاشور، محمد الطاهر. (د.ت). *التحرير والتنوير*. د.ط. تونس: دار سحنون.
عبد الباقي، محمد فؤاد. (د.ت). *المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم*. د.ط. القاهرة: دار الحديث.
ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام الأندلسي المحاربي. (1422هـ). *المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز*. تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية.
عمر، أحمد مختار عبد الحميد. (1429هـ/ 2008م). *معجم اللغة العربية المعاصرة*. ط1. د.م: عالم الكتب.
ابن فارس، أحمد بن فارس الرازي. (1399هـ/ 1979م). *معجم مقاييس اللغة*. تحقيق: عبد السلام هارون. د.ط. د.م: دار الفكر.
الفخر الرازي، محمد بن عمر بن الحسن. (1420هـ). *التفسير الكبير*. ط3. بيروت: دار إحياء التراث العربي.

الفراء، أبو زكريا يحيى بن زياد الديلمي. (د.ت). *معاني القرآن*. تحقيق: أحمد يوسف النجاتي، ومحمد علي النجار، وعبد الفتاح إسماعيل الشلبي. ط1. مصر: دار المصرية للتأليف والترجمة.

القرطبي، محمد بن أحمد بن أبي بكر. (1384هـ/ 1964م). *الجامع لأحكام القرآن*. تحقيق: أحمد البردوني وأحمد أطفيش. ط2. القاهرة: دار الكتب المصرية.

ابن كثر، أبو الفداء إسماعيل بن عمر. (1420هـ/ 1999م). *تفسير القرآن العظيم*، تحقيق: سامي محمد سلامة. ط2. المدينة المنورة: دار طيبة للنشر والتوزيع.

الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد البغدادي. (د.ت). *النكت والعيون*. تحقيق: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم. د.ط. بيروت: دار الكتب العلمية.

مجاهد، أبو الحجاج مجاهد بن جبر المخزومي. (1410هـ/ 1989م). *تفسير مجاهد*. تحقيق: محمد عبد السلام أبو النيل. ط1. مصر: دار الفكر الإسلامي الحديثة.

المحلي، جلال الدين محمد بن أحمد، والسيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر. (د.ت). *تفسير الجلالين*. ط1. القاهرة: دار الحديث.

مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، "المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم". تاريخ الاطلاع: 25 ديسمبر 2017م. الموقع: (http://qurancomplex.gov.sa/IdIndex/default.asp?TabID=1&l=arb&SecOrder=7&SubItemID=1&SubSecOrder=7).

مقاتل، أبو الحسن مقاتل بن سليمان البلخي. (1423هـ). *تفسير مقاتل بن سليمان*. تحقيق: عبد الله محمود شحاته. ط1. بيروت: دار إحياء التراث.

ابن منظور، محمد بن مكرم. (1414هـ). *لسان العرب*. ط3. بيروت: دار صادر.

النحاس، أبو جعفر أحمد بن محمد. (1409هـ). *معاني القرآن*. تحقيق: محمد علي الصابوني. ط1. مكة المكرمة: جامعة أم القرى.

ابن هشام، عبد الملك بن هشام المعافري. (1375هـ/ 1955م). *السيرة النبوية*. تحقيق: مصطفى السقا، وإبراهيم الأبياري، وعبد الحفيظ الشلبي. ط2. مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده.

الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد النيسابوري. (1415هـ). *الوجيز في تفسير الكتاب العزيز*. تحقيق: صفوان عدنان داوودي. ط1. بيروت: دار القلم.

قائمة المراجع المرومنة:

Holy Quran

Al-Abadsah, F. (2002). Al-ma' fi Al-quran Al-Karaam "Thematic study" (In Arabic). Master thesis not been published. Islamic University of Gaza, Palestine.

Abdulbaghi, M. (n.d.). Al-mo'jam Al-mofahras le Alfaz Al-quran Al-kareem. (In Arabic) (n.e.). Cairo: Dar Al-hadeeth.

Al-Alusi, M. (1995). Rooh Al-ma'ani.(In Arabic) Editor: Ali Abdulbari. 1st edition. Beirut: Dar Al-kotob Al-ilmiyah

Ibn Ashur, m. (n.d.). Al-tahrir wa Al-tanwir. (In Arabic) (n.e.). Tunisia: Dar Sahnun

Ibn Attiah, A. (2001). Al-muharrar Al-wajiz. (In Arabic) Editor: Abdussalam Abdulshafi. 1st edition. Beirut: Dar Al-kotob Al-ilmiyah.

Al-Baydawi, A. (1997). Anwar al-Tanzil wa-Asrar al-Ta'wil. (In Arabic) Editor: Mohammed Abdulrahman Al-mar'ashli. 1st edition. Beirut: Dar Ehya' Al-turath Al-arabi.

Al-Bukhari, M. (2001). Sahih al-Bukhari. (In Arabic) Editor: Mohammed Zuhair. 1st edition. Beirut: Safinatulnajat

Al-Damaghani, A. (n.d.). Al-wojooh wa Al-naza'er le Alfaz Kitab Allah Al-aziz. (In Arabic) Editor: Arabi Abdulhamied Ali. (n.e.). Beirut: Dar Al-kotob Al-ilmiyah

Al-Fakhr Al-razi, M. (1999). Al-Tafsir al-Kabir. 3rd (In Arabic) edition. Beirut: Dar Ehya' Al-turath Al-arabi.

Ibn Faris, A. (1979). Mo'jam Maqayis Al-lughah. (In Arabic) Editor: Abdussalam Haroon. (n.e.). Beirut: Dar Al-Fiqr.

Al-Farra, Y. (n.d.). Ma'ani Al-quran. (In Arabic) Editor: Ahmad Yousuf Al-najati, Mohammed Ali Al-najjar and Abdulfattah Shalabi. 1st edition. Egypt: Dar Al-misryia.

Ibn Hisham, A. (1955). Sirat ibn Hisham. (In Arabic) Editors: Ibrahim Ibyari, Abdulhafiz Shalabi, Mustafa Al-Saqqa. 2nd edition. Egypt: Mustafa Al-babi Al-halabi & his sons corporation and bookstore.

Al- Jawhari, I. (1987). Taj Al-lugha wa Sihah Al-arabiya. (In Arabic) Editor: Ahmad Attar. 4th edition. Beirut: Dar Al-'ilm Lilmalayin.

Ibn Al-Jawzi, A. (2001). Zaad Al-maseer fi 'Ilm Al-Tafsir. (In Arabic) Editor: Abdulrazzaq Al-mahdowi. 1st edition. Beirut: Dar Al-kitab Al-arabi.

Ibn Kathir, I. (1999). Tafsir ibn Kathir. (In Araibc) Editor: Sami Salamah. 2nd edition. Medina: Dar Taibah.

King Fahd Complex for the Printing of the Holy Quran, "Al-mo'jam Al-mufahras Le Alfaz Al-quran Al-kareem". Date of Browsing: 25 Dec. 2017. The website: (http://qurancomplex.gov.sa/IdIndex/default.asp?TabID=1&SubItemID=7&l=arb&SecOrder=1&SubSecOrder=7.)

Al-Mahalli, M. & Al-Suyuti, A. (n.d.). Tafsir al-Jalalayn. (In Arabic) 1st edition. Cairo: Dar Al-hadeeth.

Ibn Manzur, M. (1993). Lisan Al-Arab. (In Arabic) 3rd edition. Beirut: Dar Sadir.

Al-Mawardi, A. (n.d.). Al-nukat wa Al-'uyoon. (In Arabic) Editor: Al-sayied bin Abdulmaqsud. (n.e.). Dar Al-kotob Al-ilmiyah

Mujahid, M. (1989). Tafsir Mujahid. (In Arabic) Editor: Mohammed Abdussalam Abo Al-neel. 1st edition. Egypt: Dar Al-fiqr Al-islami Al-hadeetha.

Muqatel, M. (2002). Tafsir Muqatel. (In Arabic) Editor: Abdulla Shahtah. 1st edition. Beirut: Dar Ehya' Al-turath

Al-Nahhas, A. (1989). Ma'ani Al-quran. (In Arabic) Editor: Mohammed Ali As-Sabuni. 1st edition. Makkah: Umm Al-Qura University.

Omar, A. (2008). Mo'jam Al-lughah Al-arabia Al-mo'asira. (In Arabic) 1st edition. Beirut: 'Alam Al-kotob

Al-Qurtubi, M. (1964). Tafsir al-Qurtubi. (In Arabic) Editor: Ahmad Al-birdowni and Ahmad Atfaish. 2nd edition. Cairo: Dar Al-kotob Al-misryia.

Al-Raghib Al-Isfahani, A. (1991). Al-Mufradat fi Gharib al-Quran. (In Arabic) Editor: Safwan Adnan Dawoodi. 1st edition. Beirut: Dar Al-qalam.

Rajih, M. (2012). Qabas min Al-quran Al-kareem. (In Arabic) (n.e.). Kuwait: Ministry of Awqaf and Islamic Affairs

Al-Razi, M. (1990). Mukhtar Al-sihah. (In Arabic), Editor: Yousuf Al-shaikh Mohammed. 5th edition. Beirut: Al-assrya Library.

As-Sabuni, M. (1997). Safwat Al-tafasir. (In Arabic) 1st edition. Cairo: Dar As-Sabuni.

As-Sa'di, A. (2000). Tafsir as-Sa'di. (In Arabic) Editor: Abdulrahman Bin Ma'lla. 1st edition. n.p.: Mo'sasat Al-resalah

Al-Sameen Al-halabi, A. (1996). Omdat Al-huffaz fi Tafsir Ashraf Al-alfaz. (In Arabic) Editor: Mohammed Basel. 1st edition. Beirut: Dar Al-kotob Al-ilmiyah

Al-Shafi'I, H. (1998). Al-daleel Al-mufahras Le Alfaz Al-quran Al-kareem. (In Arabic) 1st edition. Cairo: Dar Al-salam.

Al-Shawkani, M. (1994). Fath Al-qadeer. (In Arabic) 1st edition. Beirut: Dar Ibn Katheer.

Al-Shinqiti, M. (1995). Adwa' Al-bayan fi Edah Al-quran Bel-quran. (In Arabic) (n.e.). Beirut: Dar Al-Fiqr.

Al-Suyuti, A. (1974). Al-itqan Fi 'ulum Al-Qur'an. Editor: Mohammed Abo Al-fadhel. (In Arabic) (n.e.). Egypt: Al-hay'a Al-misryia Al-'amma Lelketab.

Al-Suyuti, A. (n.d.). Al-dur al-Manthur. (In Arabic) (n.e.). Beirut: Dar Al-Fiqr.

Al-Tabari, M. (2001). Tafsir al-Tabari. (In Arabic) Editor: Abdulla Al-turki. 1st edition. n.p.: Dar Hajar

The middle Akhfash, A. (1990). Ma'ani Al-quran. (In Arabic) Editor: Huda Mahmoud. 1st edition. Cairo: Al-khanji Bookstore.

Al-Wahidy, A. (1994). Al-wajeez fi Tafsir Al-kitab Al-aziz. Editors: Safwan Adnan Dawodi. 1st (In Arabic) edition. Beirut: Dar Al-Qalam

Za'areer, G. (2003). Al-ma' fi Al-quran Al-kareem. 1st (In Arabic) ,edition. Medina: Dar Al-zaman Bookstore

Al-Zabidi, M. (n.d.). Taj al-Arus Min Jawahir al-Qamus. (In Arabic) , (n.e.). n.p.: Dar Al-hidayah

Al-Zajjaj, I. (1988). Ma'ani Al-quran wa E'raboh. (In Arabic) Editor: Abdulhalil Abdoh Shalabi. 1st Edition. Beirut: 'Alam Al-kotob

Al-Zamakhshari, M. (1987). Al-Kashshaaf. 3rd (In Arabic), edition. Beirut: Dar Al-kitab Al-arabi.